وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية
شعبة: التاريخ.

دراسة كتاب "فلسفة التاريخ العثماني" لمحمد جميل بيهم

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ الدولة العثمانية.

إعداد الطالبتين:
- سعيدة زواوي.
- فايزة فراح.

إشراف الأستاذ:
- د. العمري عبد النور.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
دة. سهيلة كردين	محاضر "ب"	رئيسا.
د. عبد النور العمري.	محاضر "أ".	مشرفا ومقررا.
أة. صفية حسناوي	مساعد "أ"	عضوا مناقشا.

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/ 2019-2020م.



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من لم يشكر الناس لم يشكر الله

صدق الله العظيم.

الحمد الله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وسلم وعلى أله وأصحابه وأتباعه وسلم.

بعد شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا الإتمام هذا البحث المتواضع نتقدم بجزيل الشكر إلى من شرفنا بإشرافه على مذكرة بحثنا الدكتور "العمري عبد النور" الذي لم تكفي حروف هذه المذكرة لإيفائه حقه بصبره الكبير علينا، وتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن، والتي ساهمت بشكل كبير في إتمام واستكمال هذا العمل، إلى كل أساتذة قسم التاريخ، كما نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز وإتمام هذا العمل.

إلى من وضع المولى سبحانه وتعالى الجنة تحت قدميها ووقرها في كتابه العزيز "أمي الحبيبة".

إلى صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير فلقد كان له الفضل الأول في بلوغي التعليم العالي"والدي الحبيب" أطال الله في عمره.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخوتي "محرز" و"مرزاق" و"مريم" و"حمزة".

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي "هدى"، "فايزة"، "عائشة"، "حدة". "حياة"، "شروق"، و"سهام".

الطالبة: سعيدة.

إلى ينبوع الحنان والود إلى مصدر العطاء والحب أمي الغالية "رزيقة" حفظها الله.

إلى من وثق بي دائما وعلمني روح المسؤولية والاعتماد على النفس والدي العزيز "علال" حفظه الله.

إلى خطيبي وسندي في الحياة حفظه الله ورعاه "أيوب".

إلى من كانوا يضيئون لي الطريق ويساندونني ويتناولون عن حقوقهم لإرضائي والعيش في هناء إخوتي: شافية، نور الدين، أمين، نسيمة، مروان .

إلى أقربائي ومن ساندوا ظهري وقت الحاجة ودعموا إيماني وقت الضياع إلى عائلة "فراح" و"لعلوني"

إلى صديقة دربي ومن شاركتني في هذا العمل المتواضع "سعيدة" وكل عائلتها.

إلى صديقاتي: خديجة، أميرة، حدة، عائشة، حورية، حياة.

الطالبة: فايزة.

الرمز	العبارة
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
ج	الجزء
د ب	دون بلد
د ت	دون تاريخ
د ط	دون طبعة
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
م	الميلادي
مج	المجلد
هـ	الهجري

مقدمة

1- أهمية الموضوع:

شهد الشرق الإسلامي في العصور الوسطى المتأخرة أحداثا خطيرة، لعل من أخطرها قيام الدولة العثمانية في الركن الشمالي الغربي من الأناضول، وإذا كان قيام هذه الدولة قد جرى على نحو لا يختلف كثيرا عن قيام غيرها من الإمارات الدول التركية في أسيا الصغرى، فإن المستقبل العظيم الذي صارت إليه هذه الإمارة العثمانية بهر أصحاب القصص وكتاب الحوليات فنسجوا حول تاريخها الأول ومؤسسها الأول القصص والأساطير، واهتم الكثير من المؤرخين بتاريخ الدولة العثمانية، ولعل محمد جميل بيهم هو أحد المؤرخين والباحثين المهتمين بدراسة تاريخ الدولة العثمانية.

وتكمن أهمية دراسة كتاب فلسفة التاريخ العثماني كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية وإلى أي حد بلغت عظمتها للمؤرخ محمد جميل بيهم فيما يلي:

- كونه مرجعا من الدرجة الأولى، وذا قيمة علمية يعتمد عليه الباحث الأكاديمي في الفترة العثمانية، أثناء دراسته لتاريخ الدولة العثمانية من قيامها إلى سقوطها بحيث يستطيع الباحث من خلاله التعرف على شخصية المؤرخ كشخصية لبنانية أرخت لدولة العثمانية، وطريقة تأريخه وأسلوبه في طرح المواضيع المختلفة.

- إبراز أهمية التاريخ العثماني من خلال دراسته المعمقة لهذا الموضوع، من حيث الأسباب الداخلية والخارجية التي ساعدت على قيام الدولة العثمانية وكذلك سقوطها.

2- دوافع اختيار الموضوع:

- الرغبة في التعرف على شخصية محمد جميل بيهم، كونه مؤرخا وباحثا ومفكرا في تاريخ الدولة العثمانية.

- إعطاء المؤرخ محمد جميل بيهم جانب من الدراسة الأكاديمية حول موضوع تاريخ الدولة العثمانية.

- الرغبة الذاتية في التعرف على جوانب من تاريخ الدولة العثمانية.

- الرغبة في خوض تجربة البحث العلمي الأكاديمي لكسب معارف أكبر.

3- **إشكالية البحث:**

نظرا لأهمية الموضوع فان دراسته توجب طرح الإشكالية التالية:

- ما هو كتاب فلسفة التاريخ العثماني ؟

- ما المحاور الكبرى التي يحتويها مضمون هذا الكتاب؟ وما مدى مساهمته في التأريخ للدولة العثمانية؟

- ما رأي المؤرخين والنقاد في هذا الكتاب؟

4 - حدود البحث: بالنسبة للحدود المكانية: فقد تحددت بدايتها من كانت من إمارة صغيرة في أسيا الصغرى محصورة بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود وتوسعت في أوروبا والبلاد العربية حتى المغرب الأقصى. أما بالنسبة للامتداد الزماني: فقد عمرت الدولة العثمانية 625سنة، فامتدت من (699- 1380هـ/1299-1924م).

5- المنهج المتبع: وللإجابة على إشكالية البحث، ومن أجل التوصل إلى الحقائق التاريخية تطلب منا الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي الذي يساعد على سرد الأحداث التاريخية وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا، وكذلك حاولنا من خلاله وصف واستعراض أهم مواضيع الكتاب بالإضافة إلى وصف شخصية محمد جميل بيهم.

6- خطة البحث المعتمدة:

تتكون هذه المذكرة الموسومة، بدراسة كتاب فلسفة التاريخ العثماني كيف نشأت وإرتقت السلطنة العثمانية وإلى أي حد بلغت عظمتها، للمؤلف محمد جميل بيهم، من مقدمة، ثلاثة مباحث وخاتمة بالإضافة إلى مجموعة من الملاحق وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في دراسة الكتاب.

بحث تناولنا في المقدمة، الخطوات المنهجية في المذكرة، كالتعريف بالموضوع، دوافع اختيارنا للموضوع، واستعراضنا إشكالية الموضوع والمناهج المتبعة في هذه الدراسة، وأهمية الموضوع، وأهم الصعوبات التي واجهتنا.

فالمبحث الأول جاء بعنوان دراسة الكتاب والكتاب، والذي تناولنا فيه مطلبين الأول بعنوان دراسة الكاتب وذلك من حيث المولد النشأة أهم أعماله ومؤلفاته، حياته الثقافية والاجتماعية تعليمه زواجه، والهدف من هذا إعطاء لمحة شاملة عن حياة المؤلف ثم تطرقنا في المطلب الثاني الذي جاء بعنوان دراسة الكتاب من حيث الشكل الخارجي والمحتوى أي إعطاء بطاقة فنية للكتاب.

أما المبحث الثاني، فقد تمت عنونته بأهم موضوعات الكتاب، بحيث ارتأينا بن نعطي لكل جزء فكرة واضحة عن ما تطرق لم المؤلف محمد جميل بيهم من خلال كتابه، والتي شملت عدة جوانب(تاريخ الترك، العصر المغولي، العوامل الداخلية التي ساعدت على نجاح العثمانيين، العوامل الخارجية التي ساعدت على نجاح ، المساعدات الأخلاقية والروحية، أين. وصلت السلطنة العثمانية.

في حين تطرقنا في المبحث الثالث والأخير إلى تقييم الكتاب ومقارنة بعض مواضيعه وذلك من خلال نقدنا وتقييما للكتاب من ناحية الأهمية ومقارنتا مواضيع الكتاب بمواضيع مصادر أخرى.

7- عرض المصادر والمراجع:

لإثراء هذا الموضوع اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع، اختلفت وتباينت مواطن توظيفها بحسب أهميتها ومن بين المصادر التي اعتمدنا عليها في البحث، نزار أباظة محمد المالح الذي اعتمدنا عليه في المبحث الأول في البحث على السيرة الذاتية للمؤلف، وكذلك محمد خير الدين يوسف، تتمة الأعلام للزركلي الذي ساعدنا في البحث عن الحياة الاجتماعية للمؤلف، ومنير البعلبكي معجم أعلام المورد وعزيزة فوال بابتي موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، أما المراجع فتمثلت في حسان حلاق المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم1887_1978م، وكذلك كتاب محمد جميل بيهم موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ومي زيازة كتابات منسية، كما اعتمدنا على بعض المعاجم مثل للسان العرب، ومعجم المؤلفين والعلماء.

8- صعوبات البحث:

كأي عمل واجهتنا عقبات كثيرة أثناء عملية البحث في بعض الأحيان كنا نعتقد أنه يستحيل إتمام هذه الرسالة كصعوبة الوصول إلى دراسة شافية وكافية للموضوع، وصعوبة الحصول على بعض المعلومات خاصة فيما يتعلق بالمؤلف.

قلة المصادر والمراجع. وصعوبة التردد على مكتبة الجامعة.

قلة التواصل المباشر مع المشرف إلا عن طريق الايمايل والوسائط الاجتماعية بسبب الحجر الكلي جراء وباء كورونا.

قرارات الوزارة في فترة الحجر من الوباء وتأثيرها على نفسية الطالب. وغيرها من الصعوبات.

المبحث الأول: دراسة الكاتب الكتاب.

1- دراسة الكاتب (محمد جميل بيهم).
2- دراسة الكتاب (فلسفة التاريخ العثماني).

المبحث الأول: دراسة الكاتب والكتاب.

1- دراسة الكاتب.

قبل تحليلنا لمحتوى كتاب فلسفة التاريخ العثماني ووصفه لابد من التعريف بصاحبه المؤرخ والعلامة الداعية الإصلاحي محمد جميل بيهم وكل ما يخص هذه الشخصية التي خدمت التاريخ وأصلت لمفاهيمه ومصطلحاته وثوراته...الخ.

أ/- مولد ونشأة محمد جميل بيهم: (1305-1399/1887-1978م):

هو محمد جميل بيهم بن مصطفى بن حسين بيهم العيتاني، ولد في مدينة بيروت في منطقة المصيطبة التي سبق أن اتخذ برجا لها عرف باسم برج بيهم.[1] أما الشارع الذي سكن فيه فهو معروف باسم مختار بيهم.[2]

تلقى علومه الابتدائية والثانوية في مدرسة الشيخ عباس الأزهر (الكلية العثمانية)، وأخذ العلوم الدينية والآداب والمنطق عن الشيخ حسن المدور أمين الفتوى في بيروت. وحصل على الدكتوراه في معهد الآداب بباريس عن الانتداب.[3]

وهو مؤرخ وباحث، ومن كبار الشخصيات اللبنانية.

1- برج بيهم: موقع هذا البرج في محلة المصيطبة جنوبي بيروت بالقرب من برج أبي حيد، وقد سمي باسم أسرة بيهم البيروتية، وهو من أبراج المدينة وقد بني الحاج حسين بيهم العيتاني الطابق الأرضي من منزله على أنقاذ ذلك البرج. انظر: حسان حلاق، **المعالم التاريخية والأثرية والسياحية في العالم العربي**، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 2009. ص 72.

2- نزار أباظة، محمد المالح، **إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)**، دار صادر لطباعة والنشر ، بيروت، ط1، 1999، ص 228 229.

3- منير البعلبكي، **معجم أعلام المورد موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، مستقاة من موسوعة المورد**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1992، ص 133.

ب/- حياته الأسرته:

نشأ محمد جميل بيهم في أسرة عريقة ذات جاه ونسب وحسب، هي أسرة العيتاني[1] حيث اشتهرت بالعمل التجاري، غير أن بعض رجالها أظهر ميلا للسياسة والثقافة والأدب[2]، ففي القرن التاسع عشر ظهر منهم بالإضافة إلى حسين وأبيه عمر ومصطفى المفكر حسين بيهم الذي شارك في تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية[3] عام 1887م بتعاون مع الشيخ عبد القادر قنابي وبعض رحالات المسلمين.

كما شارك حسين بيهم ومحي الدين بيهم باستقبال الإمبراطورية الألمانية غليوم الثاني أثناء مروره في بيروت عام 1898، باعتبارهما من أعيان بيروت، وذلك جنبا إلى جنب مع ميشال أفندي اده مدير الأمور الأجنبية، والشيخ عبد القادر قنابي رئيس بلدية بيروت، وحبيب باشا السعد، والكونت فيليب دي طرازي وسواهم.[4]

1- أسرة العيتاني: هي من الأسر التي نزحت من المغرب إلى بيروت في أعقاب جلاء الأسر الإسلامية عن الأندلس، وقد انفصلت أسرة بيهم عن أسرة العيتاني في القرن 19م. انظر: حسان حلاق، **المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم 1887-1978م، من رواد النهضة السياسية والاجتماعية والفكرية في بيروت والعالم العربي**، تق: عمر فروخ، بيروت، د.ط، 1980، ص16.

2- نجدة فتحي صفوة، **هذا اليوم في التاريخ**، م5، أيار/ مايو، دار الساقي، ط1، بيروت، 2018، ص100.

3- حسان حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ط2، 1999، ص 155.

4- حسان حلاق، **المؤرخ العلامة، المرجع السابق**، ص 17.

ت/ تعليمه:

تلقى دراسة في مدرسة الشيخ أحمد عباس، ثم تابع ذلك في مدرسة أوليفيا الفرنسية التي كانت نواة مدرسة اللاييك ثم سافر إلى فرنسا حيث أقدم على رسالة الدكتوراه إلى معهد الآداب بباريس وكان موضوعها عن الانتداب[1]، عاد إلى بيروت فباشر نشاطه الثقافي والاجتماعي والسياسي[2]، وكان من أبرز ذلك رئاسته المجمع العلمي اللبناني في سنة 1929، ولكن الحكومة اللبنانية لم تلبث أن أعلنت عن حله بدعوى التوفير في النفقات.

كما أنه مثل بيروت في المؤتمر السوري لأول مرة سنة 1919والذي تعقد في دمشق، ونادي بفيصل ملكا على سوريا.[3]



صورة للمؤلف محمد جميل بيهم.[4]

1- عزيزة فوال بابتي، **موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ط1، ج1، باب الباء، ص 442.

2- مي زيادة، **كتابات منسية**، تح، أنتيا زيغلر، ط1، 2009، ص 287.

3- عبد الله يوسف، **تتمة الأعلام لزركلي**، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 2002، ص 141-142.

4- www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2016/8/10 . voir: 25/08/2020.

ث/- زواجه:

تزوج محمد جميل بيهم للمرة الأولى في 07 أيار (مايو) 1913م من زينب عبد الرحمان أنجب منها فتاة فقط توفيت أثر الولادة[1]، ثم تزوج للمرة الثانية عام 1929 من المجاهدة السورية نازك العابد ابنة مصطفى باشا العابد من أعيان دمشق[2]، تولى أبوها محافظة الكرك وولاية الموصل أيام العثمانيين، وأمها الفاضلة فريدة الجلاء، هذه الأخيرة يعود نسبها إلى (محمد على العابد) أول رئيس الجمهورية السورية في عهد الانتداب الفرنسي.[3]

ولدت نازك في دمشق أيام السلطان العثماني، فكانت فتاة جدية تمثل في خصالها روح العروبة التي ترفض الحكم العثماني. وكانت تحن الانزواء والمطالعة وهي في الموصل، وترفض سطوة لمعلمات العثمانية. فأخرجت من المدرسة ونفي والدها إلى أزمير، فدرست هناك في مدرسة الفردوس الأمريكية. ثم عادت مع أسرتها في أعقاب الحرب العالمية وقد أتقنت عدة لغات، كما كانت بارعة في التصوير والموسيقى.[4]

1- حسان حلاق، **المؤرخ العلامة، المرجع السابق**، ص 20.

2- نجدة فتحي صفوة، **المرجع السابق**، ص101.

3- أحمد العلاونة، **ذيل الأعلام - قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين**، دار المنارة لنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط1، 1998، ص 173.

4- محمد التونجي، **معجم أعلام النساء**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 2001، ص 172.

ح/-أهم أعماله:

- في المجال السياسي:

برز بيهم في عالم السياسة اللبنانية والعربية نظرا للمواقف الجريئة التي كان يتخذها. مثل بيروت في المؤتمر السوري، فقد كان محمد جميل بيهم من جملة الذين حازوا أكثر عضوية في المؤتمر السوري عن مدينة بيروت. وكان المرشحون للانتخابات قد حاولوا إبرام تسوية فيما بينهم لإدخال الياس بك سرسق مكان محمد جميل بيهم كموفد للمؤتمر السوري العام رغم قلة الأصوات التي نالها، غير أن هذه التسوية فشلت وثبت جميل بيهم كموفد وممثل عن مدينة بيروت مع شخصيات المدينة الأخرى مثل رضا بك الصلح، محمد أفندي الفخوري.[1]

عقد المؤتمر السوري العام في يوم 30 جويلية من عام 1919 بمدينة دمشق جلسة عامة برئاسة محمد فوزي باشا العظم، وبدأ المؤتمر ببحث الموضوعات الملحة ومنها مستقبل البلاد السورية، وحملت أهم أهداف عقد هذا المؤتمر ما يلي:

أولا: مقابلة اللجنة الدولية الأمريكية واطلاعها على رغاب الأمة بصورة رسمية- وقد حصل هذا لأمر.

ثانيا: وضع قانون أساسي للبلاد السورية.

وكان محمد جميل بيهم عضوا مشاركا في اللجنة الاحتجاجية على فصل سوريا على لبنان بالإضافة: إلى الأمير أرسلان، مظهر بك أرسلان.[2] ...

وفي الدورة الثانية للمؤتمر السوري العام المنعقد في مارس 1920م، واصل محمد جميل بيهم نشاطه في المؤتمر، وشارك في اتخاذ قرار 07 مارس بجعل الأمير فيصل ملكا على البلاد السورية عامة وإعلان استقلال هذه البلاد .

وبعد اتخاذ هذا القرار شكلت الحكومة الأولى برئاسة رضا باشا الركابي، كما أن بيهم نفسه انتخب عضوا في لجنة الدفاع التي انبثقت عن المؤتمر السوري العام.

من أهم الأعمال والمناصب التي تقلدها بيهم:

1- اللسان العربي، مجلد 10، العدد 1، ص 327.

2- مي زيادة، **المرجع السابق**، ص 287.

- ترشحه للانتخابات عام 1922بعد أن شعر بضرورة مشاركة المسلمين في شؤون الحكم.

- بوصول الجنرال ويغان سنة 1923 للبنان قدم له بيهم من وجهاء من الساحل مذكرة للمطالبة بالوحدة السورية.

- في عام 1924م استمر بيهم يشارك في صنع القرار السياسي غير رسمي، ويبحث أوضاع لبنان في ظل الانتداب الفرنسي.

- أصبح بيهم عضوا في حزب الإصلاح السوري سنة 1928م، كما انتخب في المجمع العلمي اللبناني في العام نفسه.

- كما انتخب عضوا في عدد من المجامع، منها المجمع العلمي اللبناني ثم رئيسه سنة 1929م.

- كما انتخب عضوا مراسلا للمجمع العلمي العراقي عام 1952، والمجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1966م. و اشترك في أكاديمية التاريخ العالمي بباريس، والمجلس العلمي بجامعة لاهور في باكستان. وأيضا انتخب عضوا في المكتب العالمي لإلغاء الاتجار بالإنسان. وأتيحت له الرحلة والسفر إلى أنحاء العالم المختلفة.[1]

- شارك في الاهتمام بالقضية الفلسطينية منذ العهد العثماني في سبيل مقاومة الصهيونية، وظهرت له مقالات في جريدة الرأي العام يحذر فيها من الخطر الصهيوني. وسافر إلى الأمريكيتين على رأس الوفد العربي الفلسطيني عام 1938م، لدعوة لهذه القضية في الأوساط الشعبية والحكومية.[2] وعندما وقعت مأساة سنة 1948م ساهم في تحقيق الاغتراب عن شعب فلسطين، فأنشأ في بيروت جمعية تأمين العمل للاجئي فلسطين.[3]

- ومثل لبنان رسميا بالقاهرة أمام اللجنة الانجليزية الأمريكية للتحقيق في قضية فلسطين، كما مثل لبنان في جمعيات النهضة: ثقافية واجتماعية، وخاصة فيما يتعلق بالشباب وخدمة المجتمع.[4]

1- محمد خير الدين يوسف، **تتمة الأعلام للزركلي ووفيات 1396-1415/ 1986-1995م**، يليه المستدرك الأول والثاني، دار ابن حزم، ج2، ص 143.

2- نزار أباظة ومحمد رياض المالح، **المرجع السابق**،ص 142، 143.

3- عزيزة فوال بابتي، **المرجع السابق**، ج2،ص442.

4- فؤاد صالح السيد، **أعظم الأحداث المعاصرة 1400-2014**، مكتبة حسن العصرية، بيروت، ط1، 1434/ 2015م، ص 266.

كما تقلد محمد جميل بيهم مناصب قيادية هامة ومنها:

- **رئيسا لاتحاد الشبيبة الإسلامية 1929-1941م:** فنظرا للجهود المخلصة التي بذلها محمد جميل بيهم في المعترك السياسي والوطني، فقد اختاره عدد من الوجهاء المسلمين ليكون رئيسا لجمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية، التي انبرت منذ تأسيسها في العمل الإسلامي، ورائدها أن نهضة المسلمين هي نهضة جميع اللبنانيين كما عمل على المطالبة بحقوق المسلمين في شتى الحقول السياسية والاجتماعية والتربوية.[1]

واستمرت جمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية برئاسة بيهم في عرض وملاحقة المطالب الإسلامية، وفي عام 1933 شكلت جمعية لجنة يرئسها محمد جميل بيهم وعضوية الدكتور مصطفى الخالدي، الدكتور عادل الشيخ، الدكتور خالد الصغير... وكان الهدف من تكوين هذه اللجنة مراجعة المسؤولين لرفع الغبن عن المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

رغم اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939م إلا أن بيهم مع الشخصيات الإسلامية الأخرى استمر في المطالبة في تحسين أوضاع المغبونين منهم.[2]

رئيسا للكتلة الإسلامية 1943- 1956م: في أوائل جانفي 1943 دعي بيهم لاجتماع العاملين في الحقل الإسلامي بمختلف طوائفهم، وانبثق عن الاجتماع كتلة جديدة عرفت باسم الكتلة الإسلامية، وانتخب المجتمعون بيهم رئيسا لها. وقد أخذت الكتلة الإسلامية على عاتقها مهمة إظهار وجهة نظر المسلمين في النواحي الحقوقية والسياسية والتربوية، وقد واصلت الكتلة الإسلامية مساعيها من أجل تحقيق العدالة والمساواة بين سائر المواطنين، وذلك من أجل بناء وطن لسائر اللبنانيين.[3]

وبالإضافة إلي نشاط بيهم على صعيد المشكلات اللبنانية البحتة، غير انه لم ينسى ضرورة العمل من أجل استقلال لبنان استقلالا كاملا بما فيه جلاء القوات الأجنبية على أراضيها.

لم يترك بيهم مناسبة وطنية أو قومية أو إسلامية إلا ونشط من أجل الدفاع عنها.[4]

1- محمد جميل بيهم، **النزاعات السياسية بلبنان عهد الانتداب والاحتلال 1918- 1940**، مطبعة العرفان، د.ط، دت، ص 29-30.

2- محمد جميل بيهم، **لبنان بين مشرق ومغرب (1920-1969)**، ط1، د.د.ن، بيروت، 1969، ص29.

3- هشام نشابه، **محاضرات في الفكر الإسلامي**، دط، دت، ص28.

4- **المرجع نفسه**، ص 36.

مناظلا في سبيل القضية الفلسطينية (1919- 1977): نشط محمد جميل بيهم من القرن العشرين للعمل من أجل القضية الفلسطينية، وقد عبر عن ذلك في المؤتمر السوري عام 1919، ناقش فيه أخطار الحركة الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، فقد قام بإرسال العديد من الشخصيات من أجل نصرة الفلسطينيين.

كما استمر بيهم في دعمه واشتغاله للقضية الفلسطينية، وكانت اجتماعاته مستمرة م الزعامات الفلسطينية في عام 1940

بدأ اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية برئاسة بيهم ينشط لنصرة القضية الفلسطينية . وفي عام 1945 نشط بيهم في سبيل الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني.

وجه محمد جميل بيهم رئيس اتحاد الأحزاب اللبنانية في سنة 1945دعوة للمنظمات العربية دعاها إلى مؤتمر عربي في بيروت في سبيل الدفاع عن القضية فلسطين.

-في المجال الاجتماعي:

كان محمد جميل بيهم يعيش وحيدا في المصيطبة في بيته بعد وفاة زوجته السيدة نازك العابد، يخدمه سائق سيارته وزوجته اللذان كان يسكنان معه في البيت نفسه، وكانت زوجة هذا الأخير هي التي تقوم بواجبات المنزل بما في ذلك الطبخ

كان محمد جميل بيهم كريما على طريقته، فهو يقوم بواجب إكرام للضيف ولكنه يترك لكل ضيف أن يخدم نفسه كيفما اتفق.

كان منزل جميل بك من تلك الدور القديمة وهي لا تزال قائمة في المصيطبة. حيث احتوت مكتبته على مجموعة من المنشورات، الكثير منها مجلات والقطع الأثرية الصغيرة، وقد أوصى بأن يجعل من مكتبته والممتلكات الثمينة في منزله وقفا لمؤسسة خيرية.

والحقيقة أن محمد جميل بيهم، رغم شعوره وتحركه الإسلامي فإنه لم يكن طائفيا، فكثيرا ما ساعد طلاب علم من أبناء المسيحيين. بل أنه لم يجد غضاضة في المساهمة في بناء كنيسة بمنطقة القماطية، مما جعل كثيرون يشكرونه على هذا العمل.

ويلاحظ أن محمد جميل بيهم كان حريصا على تكريم العلماء والمفكرين والأدباء والساسة دون تمييز في نوع طائفتهم ومذهبهم.

كما شارك في حقل الخدمة العامة دؤوبا من أجل رفعة مواطنيه وأمته، وكان حريصا كل الحرص على تطوير المسلمين بعدما رأى أن النهضة الإسلامية العلمية يجب أن تتطور أكثر مما كانت عليه. فقد أقترح عام 1911 إنشاء كلية إسلامية، فذكرت صحيفة أبابيل بأن "جميل أفندي بيهم في مقدمة الشبان المسلمين الغيورين الذين يلتهبون غيرة وحمية على من تابع قومهم من الابتعاد عن النهوض مجاراة للأمم الراقية...".

- في المجال الثقافي:

كان محمد جميل بيهم إضافة لمشاغله العديدة سياسية واجتماعية وفكرية، حافظ للتراث اللبناني والعربي والعالمي وجامعا له، مدونا أحداثه بمؤلفاته العديدة ومخطوطاته بين يديه من مظاهر للتراث اللبناني والعربي العالمي .وكانت رحلاته المتعددة فرصة لجمع هذا التراث.

كان محمد جميل بيهم سنة 1960 يملك متحفا يضم العديد من التحف المحلية والعالمية ومنها على سبيل المثال :

- النسخة الأصلية للمعاهدة بين تركيا وهولندا عام 1632.

- معاهدة صداقة بين الإمبراطورية العثمانية والولايات المتحدة سنة 1680م بخط قدري أفندي علي بدر الدين وهي من مخلفات السلطان عبد الحميد الثاني.

- دفتر الموسيقى الخاص ببلاط السلطان محمد رشاد وسلاطين بني عثمان.

وفي عام 1969 أصبح متحفه يضم إضافة للمجموعة الأولى تحف فنية وأثرية منها:

- خزانة قديمة مزدانة بالنقش والخطوط الهندسية الجميلة ،مليئة بالأقمشة الحريرية والقطنية القديمة من عربية وفارسية وتركية يتوسطها الثوب العسكري لزوجته المرحومة نازك العابد، وهو ثوب برتبة عقيد ومزدان بوسامين عثماني ولبناني من درجة الأرز الوطني:

بالإضافة إلى ذلك فقد وجد في متحفه صور لبعض كبار زعماء في العالم مهداة إليه ومنها صور الملك فيصل الأول من الشريف حسن، ماوتسي تونغ، عباس الهاوي، محمد علي جناح، سيف الإسلام عبد الله، عمر طوسن، الأمير سليم عبد الحميد الثاني، محمد نجيب، حافظ رمضان باشا، الأمير سعيد الجزائري، وهواري بومدين وسواهم.

وكذالك تضم مكتبة محمد جميل بيهم مؤلفاته القيمة مجموعة نادرة من الكتب العربية والأجنبية، ومن المجلات السياسية والعلمية ومن النشرات الوثائقية. ومن صفاته أنه لم يبخل عن طلاب العلم والدراسات العليا من الإطلاع على هذه المكتبة القيمة، بل لم توان في إمداد هؤلاء الطلاب بكافة المعلومات التي كانت تدعم رسائلهم الجامعية.

- **في المجال العلمي والتأليف:** ترك محمد جميل بيهم العديد من المؤلفات المهمة في العديد من المجالات كالمجال السياسي والاجتماعي...، فقد ألف ما يقارب 26 كتابا دون على صفحاتهم كل ما رأى وما سمع وما اعتقد 921- 1977م.

أولا: في تاريخ لبنان.

- العهد المخضرم في سوريا ولبنان 1948_ 1922م، بيروت 1986.
- عروبة لبنان، تطورها في القديم والحديث، 1969.
- لبنان بين مشرق ومغرب 1920- 1969، بيروت، 1969.
- النزاعات السياسية بلبنان _ عهد الانتداب والاحتلال 1918- 1945، بيروت، 1977.

ثانيا: في تاريخ العالم العربي:

- الانتداب في العراق وسوريا، بيروت، 1931.
- فلسطين أندلس الشرق، بيروت، 1946.
- قوافل العروبة و مواكبها خلال العصور، ج1، بيروت، 1948.
- قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج2، بيروت، 1949.
- الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، بيروت، 1951.
- العروبة والشعوبيات الحديثة، بيروت، 1957.
- عالم حر حديث في أسيا وإفريقيا والعالم العربي، بيروت، 1964.
- الوحدة العربية بين المد والجزر والعرب مابين التقارب والتباعد 1868- 1972م، بيروت، 1973.

- دراسة وتحليل للعهد العربي الأصيل، بيروت، 1974.

ثالثا: في تاريخ الدولة العثمانية والترك.

- فلسفة التاريخ العثماني، ج1، بيروت، 1925.

- أوليات سلاطين تركيا، بيروت، 1931.

- فلسفة التاريخ العثماني، ج2، بيروت، 1945.

- العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، بيروت، 1957.

رابعا: في دراسة السياسة الأمريكية والروسية والصينية.

- واشنطن تعبد الطرق لموسكو في بلاد العرب والمسلمين، بيروت، 1954.

- أسرار ما وراء الستار- الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية كأنك تراهما، بيروت، 1958.

خامسا: في تاريخ الإسلام.

- فلسفة تاريخ محمد، بيروت، 1961.

سادسا: في تاريخ المرأة العربية.

- المرأة في التاريخ والشرائع، بيروت، 1921.

- المرأة في التمدن الحديث، بيروت، 1927.

- فتاة الشرق في حضارة الغرب، بيروت، 1952.

- المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، بيروت، 1962.

- شاهد عيان يسد فراغا في التاريخ (كراس)، بيروت، 1976.

ترجمت بعض هذه المؤلفات إلى اللغات الأجنبية: الغربية والشرقية على سواء.

كان محمد جميل بيهم يعتبر أن المجتمع العربي لا يمكن أن يتطور طالما نصفه مشلولا ومتأخرا عن الركب الحضاري. ولذا رأى من واجبه أن يقف إلى جانب المرأة ليعمل على تطور المجتمع. ولم يمل من الاشتغال الاجتماعي إلى جانب عمله السياسي.

أما عن مؤلفات محمد جميل بيهم عن المرأة فهي أربعة كتب سياسية وهي:

- المرأة في التاريخ والشرائع:

هو أول كتاب أصدره عن المرأة عام 1921، وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أنه يكاد يكون الكتاب الأول من نوعه الذي يحث فيه أوضاع المرأة منذ بدء الخليفة إلى أن يدرس أوضاع المرأة في مختلف البلدان القديمة مثال:مصر ، بابل، أشور، فارس، تركيا، اليابان، الصين، فينيقيا... ثم تحدث عن أوضاع المرأة اليهودية والمسيحية اعتمادا على التوراة والإنجيل والكتابات الأساسية.

كما يعالج فيه المرأة العربية قبل التاريخ وفي العصر الجاهلي بكافة وجوهها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وخصص الفصل السادس للحديث عن المرأة في الشريعة الإسلامية، وأعطى حلولا واقتراحات في كيفية إصلاح التقاليد في معاشرة المرأة وفي العلائق الزوجية وفي الطلاق والزواج.

- المرأة في التمدن الحديث:

أصدر محمد جميل بيهم هذا الكتاب عام 1927م، وكان له صدى واسع في الأوساط الاجتماعية والعلمية. وقد ترجم بعد ذلك إلى اللغة الفارسية بعنوان "زن وتمدن جديد" وفيه دراسة عن المرأة في العصور الوسطى وفي عصر النهضة حيث عالج فيه أفكار الرجال الرجعية ثم ما لبث أن تطورت المرأة و وصلت إلى مراتب علمية هامة، وأعطى أمثلة عن بعض نساء ايطاليا ومنهن: Bucca (D.) دكتورة في الفلسفة و Ficéle (C.) عالمة فلسفة ورياضة،و Camerino (D.) عالمة لغات وسواهن كما أعطى أمثلة عن عالمات فرنسيات في طلب العلم، وتشجيع الرجل العربي على السماح للمرأة بالتعلم والتزود بالعلوم المختلفة.

ويضيف سجلا من العاملات الأوروبيات في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر. كما نلاحظ بأنه درس أوضاع المرأة في تلك البلاد في القرن العشرين.

- المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: صدر هذا الكتاب في عام 1962م، ولكنه كان قد بدأ بإعداده منذ عهد الانتداب الفرنسي، غير أن مهمته النضال ضد الفرنسيين جعلته يتوقف عن متابعة الكتابة إلى أن عكف في الخمسينيات عن تكملته.

وجاء في هذا الكتاب عرض وتحليل لوضع المرأة العربية في صدر الإسلام، إذ أنه درس أخلاقها وشجاعتها وجرأتها الأدبية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين. كما درس كما درس وضعها الاجتماعي والعلمي والأدبي، وأظهر أثر الإسلام في ارتفاع مستوى المرأة العربية وسمو منزلتها الاجتماعية.

درس المرأة في العهدين الأموي والعباسي وكيفية تطور أوضاعها العلمية والأدبية فيهما، مع العلم أن بعض العصور العباسية شهدت خروج المرأة عن نطاقها الأساسي باختلاط بالرجال خلافا للتعاليم الإسلامية، ولم يكتف بدراسة أوضاع المرأة في الشرق العربي، بل عني بدارسته أوضاعها في المغرب العربي أيضا.

2- دراسة الكتاب.

أ/- الجانب الشكلي للكتاب:

إسم المؤلف: محمد جميل بيهم.

عنوان الكتاب: فلسفة التاريخ العثماني كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية والى أي حد بلغت عظمتها.[1]

الطبعة: الأولى.

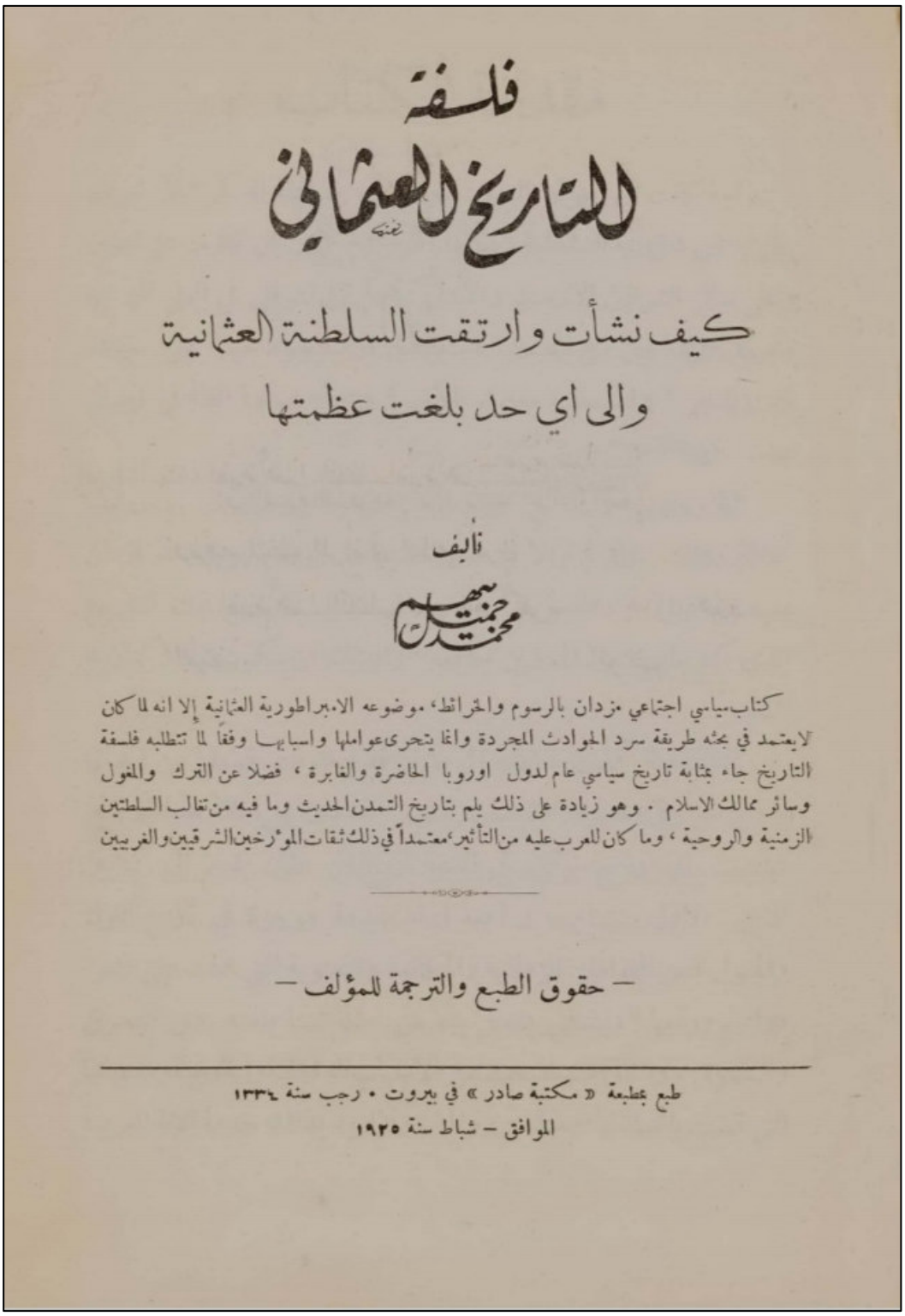
معلومات النشر:

- **دار النشر:** مكتبة صادر.
- **سنة النشر:** رجب سنة 1334 الموافق _ شباط سنة 1925م.
- **بلد النشر:** بيروت لبنان.
- **عدد الصفحات:** 316 صفحة.

الجوانب الخارجية للكتاب:

- **حجم الكتاب:** حجم صغير.
- **النوع:** ورقي غلاف عادي، وطبعة إلكترونية بصيغة PDF
- **الواجهة الأمامية للكتاب:** تحتوي الواجهة في الأعلى عنوان الكتاب جزء منه باللون البني القاتم والجزء الأخر بالأخضر الفاتح. في الوسط إسم المؤلف باللون البني القاتم. يليها التعرف بالكتاب باللون الأخضر الفاتح، وفي الأسفل دار وسنة النشر.
- **لون الكتاب:** يختلف من طبعة إلى أخرى.

1 - محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ العثماني كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية وإلى أي حد بلغت عظمتها**، مكتبة صادر، بيروت، 1925م،



فلسفة
التاريخ العثماني

كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية
والى اي حد بلغت عظمتها

تأليف
محمد جميل بيهم

كتاب سياسي اجتماعي مزدان بالرسوم والخرائط، موضوعه الامبراطورية العثمانية إلا انه لما كان لايعتمد في بحثه طريقة سرد الحوادث المجردة وانما يتحرى عواملها واسبابها وفقاً لما تتطلبه فلسفة التاريخ جاء بمثابة تاريخ سياسي عام لدول اوروبا الحاضرة والغابرة، فضلا عن الترك والمغول وسائر ممالك الاسلام . وهو زيادة على ذلك يلم بتاريخ التمدن الحديث وما فيه من تغالب السلطتين الزمنية والروحية، وما كان للعرب عليه من التأثير، معتمداً في ذلك ثقات المؤرخين الشرقيين والغربيين

— حقوق الطبع والترجمة للمؤلف —

طبع بمطبعة « مكتبة صادر » في بيروت . رجب سنة ١٣٣٤
الموافق — شباط سنة ١٩٢٥

نموذج مصور للورقة واجهة كتاب فلسفة التاريخ العثماني محمد جميل بيهم

ب/- الجانب العلمي للكتاب:

- أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف في تأليف الكتاب.

- بالعربية العربية:

- ابن الكثير الكامل في التاريخ ج 3، ج4، ج 5، ج7، ج8، ج12.

- أبو الفدا المختصر في أخبار البشر ج1، ج2.

- محمد فريد بك تاريخ الدولة العلية العثمانية.

- جرجي تاريخ التمدن الإسلامي.

- ابن خلدون البستاني دائرة المعارف م2، م6.

- ابن عبد ربه العقد الفريد ج3.

- الدميري حياة الحيوان ج1.

- ابن العبري مختصر الدول.

- ابن خلكان وفيات الأعيان ج2.

- المفتى فاخوري تحفة الأنام.

- الأمام عماد الدين الأصفهاني.

- جرجي زيدان تاريخ التمدن الإسلامي ج4.

- زيني دحلان الفتوحات الإسلامية ج2.

- كتب الخاصة بتراجم: (الخانجي معجم العمران ج2.)، (ياقوت الحموي معجم البلدان ج5.)، (المسعودي ج2).

- باللغة الأجنبية:

- L. Cabun. Int. A l'lbist. De l’Asie.

- Revue de l’histoire des Religions txxn.

- محتوى الكتاب:

يحتوي الكتاب على ثمانية أجزاء، وكل جزء يتضمن عناوين متفرعة، حيث نجد المؤلف استهل كتابه بالشرح لكتابه (المرأة في التاريخ والشرائع)، ثم نجد رسم المؤلف محمد جميل بيهم، ثم نجد إهداء إلى السيدة هدى الشعراوي رئيسة الإتحاد النسائي في مصر، تليها المقدمة ثم ندخل مباشرة في محتوى الكتاب.

الجزء الأول: جاء بعنوان تاريخ الترك، في هذا الجزء قد تحدث الكاتب عن تاريخ الترك قبل وفي عهد الإسلام إلى العصر المغولي، ويأتي فيه بيان الأسباب التي ساعدت العرب وشريعتهم على التغلب عليهم، ثم كيف دخل الترك إلى ديار الخلفاء المماليك فانقلبوا فيها إلى سادة مستأثرين. وهذا الجزء يتضمن العناوين التالية: الترك قبل الإسلام (أصلهم، منازلهم، حالتهم الاجتماعية، أديانهم)، وكذلك الترك في الإسلام (المجتمع التركي في صدر الإسلام، إسلام الترك، شخوص الترك لديار الإسلام، تغلب الترك على العباسيين، وعهد الاستقلال التركي). يبدا من **(الصفحة 07 الى الصفحة 58).**

أما الجزء الثاني: بعنوان: العصر المغولي، في هذا الجزء تحدث بيهم عن الأمة المغولية، وكيف مهدت لظهور السلطنة العثمانية، كما تطرق إلى أحوال العالم الإسلامي في ذلك العصر، يتضمن العناوين التالية: (المغول وجنكيز، المغول بعد جنكيز، المغول يلاشون شاهية خوارزم، المغول يستحضرون سلاجقة قونية، هولاكو يقضي على العباسيين والخلافة، علائق هولاكو مع الفرنج، أوحشي هولاكو أم عمران؟، المماليك البحرية يجلون المغول، تأثير المغول على شخوص العثمانيين إلى الشرق الأدنى، تأثير المغول على استقلال آل عثمان). ويبدا من صفحة **(59 الى صفحة 80).**

الجزء الثالث: جاء بعنوان: حال عالم الشرق والإسلام"حين ظهور العثمانية" لحقيقة بيان حال عالم الشرق والإسلام سياسيا، ماديا، أدبيا، وأخلاقيا، أثناء ظهور السلطنة العثمانية، في المشرق والمغرب، وما كان لذلك من التمهيد لظهور تلك الإمبراطورية وتغلبها.

تطرق الكاتب في هذا الجزء إلى الحديث عن تراجم الشرق والغرب، أي صراع الأوروبيون والأسيويين حول السادة، كما ذكر أيضا (حال الشرق الأدنى حين ظهور العثمانية، حال عالم الإسلام في الغرب حين ظهور العثمانية، الحروب بين الخليفة والبابا في المغرب، نتيجة تلك الحروب ماديا، نتيجة تلك الحروب أدبيا والدولة العثمانية تشجع شتات الشرق وتعلي كلمته. يبدا من الصفحة **(91 الى الصفحة 104).**

الجزء الرابع: عنوانه جاء بصيغة سؤال ما الذي ساعد على فلاح العثمانية، العوامل الداخلية، يشمل هذا الجزء ما كان لأل عثمان من العوامل الداخلية التي ساعدت على سرعة نجاحهم، وقد ذكر لنا المؤلف محمد جميل بيهم شريعة الدولة وهي الشريعة الإسلامية وما كان لها من تأثير على الإمبراطورية العثمانية، بالإضافة إلى عوامل أخرى وهي (سلاطين الدولة، عنصر الدولة، الدربة والعدد، عاصمة الدولة). يبدأ من الصفحة **(105 إلى الصفحة 168)**.

أما الجزء الخامس، فقد جاء بصيغة سؤال وقد عنونه ب ما الذي ساعد على فلاح العثمانية؟" في أسيا وإفريقيا" يبحث هذا الجزء فيما حصل لأل عثمان من العوامل الخارجية التي ساعدت على نجاحهم في أسيا وإفريقيا. متضمن نقطتين أما الأولى وجاءت بعنوان المساعدات الأسيوية ويندرج تحتها أربعة عناوين، خلفيات دولة قونية، الروم التكفيريون، دولة الأرمن الصغرى، المغول)، والنقطة الثانية والمعنونة بالمساعدات الإفريقية التي تضمنت عنوانين هما (المماليك البحرية، المماليك الجراكة). يبدأ من **(الصفحة 169 إلى الصفحة 197)**

الجزء السادس: تناول العوامل الخارجية عن طريق البحث عن المساعدات التي أحرزها آل عثمان أن كانت من العوامل السياسية في العالم المسيحي الأوربي، وما كان للانشقاق الكنسي في أوربا من اثر عظيم ونافع لتقوية السلطنة العثمانية. يبدأ من صفحة **(198 إلى صفحة 242)**.

الجزء السابع: فقد عنونه محمد جميل بيهم ما الذي ساعد على فلاح العثمانية" المساعدات الأخلاقية والروحية في العالم المسيحي"، في هذا الجزء البحث العوامل المعنوية الخارجية في العالم المسيحي التي ساعدت على فلاح أل عثمان. فيدخل فيه الكلام على كل من الأرثوذكس والكاثوليك في أوروبا ومفاعيل المدينة العربية في تطور أحوالهم.

وتضمن هذا الجزء (المساعدات المعنوية في المماليك الأرثوذكسية، روح البداوة في البعض، والتخنث في البعض الأخر مع المشاحنات الدينية، المساعدات المعنوية في المماليك الكاثوليكية، تأثير المدينة الأندلسية، تأثير الحروب الصليبية، تغلب الكنيسة على الملكية وتأثيره، ضعف نفوذ الكنيسة والخلاصة في المساعدات المعنوية التي حصلت لأل عثمان. يبدا من الصفحة **(243 للصفحة 269)**.

وأخير الجزء الثامن: عنوانه ما الذي ساعد على فلاح العثمانية أتينا في الأجزاء السبعة السابقة على الأسباب التي مهدت السبل لظهور وتقدم أل عثمان ، ونختم البحث في هذا الجزء الثامن بإيراد الأمثلة على عظمة الشأن التي بلغوها إلى نهاية عهد الارتقاء وأوائل عهد الانحطاط الذي هو موضوع

الكتاب الثاني، وقد عظمة السلطنة في عهد سليمان القانوني، بقايا العظمة بعد سليمان القانوني وكذلك مظاهر العظمة في التقاليد المرعية والمعاملات الدولية.د

- **المناهج المستعملة**: غلب على الكتاب المنهجين الوصفي والسردي في وصف وسرد الأحداث، مع المنهج المقارن في بعض المحطات لم يقارن مباشرة لكن يستدل على المقارنة ن خلال صيغة الأفكار. أما المنهج التحليلي فيبرز من خلال تقديمه لتحليلات عن نتائج تمخضت عن سببية للأحداث مثل ما تناولته الفصول: الرابع الخامس السادس السابع ...

المبحث الثاني: دراسة الموضوعات التي يتناولها الكتاب

1- تلخيص أهم ما جاء من محاور وأفكار الكتاب.
2- استخلاص الجوانب العلمية والمنهجية لمحاور الكتاب.

المبحث الثاني: دراسة الموضوعات التي تناولها الكتاب.

1- تلخيص أهم ما جاء من محاور وأفكار الكتاب: تناول مؤلف "فلسفة التاريخ العثماني" مواضيع متنوعة، تخص تاريخ الدولة العثمانية وما تعلق بها من حوادث سياسية وعسكرية ... فضلنا تلخيصها وتبسيطها ليفهما القارئ عموما ويعرف أهم ما حمله الكتاب من أفكار ومحاور

أولا: موضوع نشوء الدولة العثمانية "تاريخ الترك في نشوء السلطة العثمانية": تطرق محمد بيهم في هذا الجزء الى نقاط كثيرة ومنها:

- الترك قبل الإسلام: إذ كان تاريخهم غامض ويكاد يجهل، وتمركز الترك بين الصين وفارس. أين كانت علاقة الترك بين هذه الدول الأخيرة متوترة، أما أصولهم فتضاربت الروايات حولها فالمسلمون يرون فيهم عبر تسلسل الأمم أنهم يرجعون إلى يافث ابن نوح... كما اختلفت الروايات أيضا في تعداد فصائلهم إلا أنهم خمس: "القبجاق" (أصل البادية)، "الأويغور" (المجتمعون أصحاب الشريعة)، "القانق لي" (الزراع)، "القالاج" (رجال السي)، "القارلوق" (التلجيون).

وما يستفاد من الروايات التركية المغولية والصينية عن تاريخ الترك القديم، أنه كانت عشائر بربرية تقطن وراء سد الصين الكبير الذي أنشأه "شي ونغ تي" مؤسس العائلة المالكة الرابعة. وكانت تلك العشائر تسمى بالصينية اسم "هييونغ نو"، أي الرعية المتمردة. ثم لم يلبثوا أن لقبوا في القرن السادس ميلادي بلقب الترك، وكان موقف الصين اتجاه هؤلاء البرابرة مختلف حسب قوتهم وضعفهم. ففي وقت ضعفت حدود السور الكبير زمن "شي ونغ تي"، وأصبحت البلاد عرضة لغزوات الترك المغول، ولم تستطع الصين على صد أو القيام بأي هجوم إلا بعد أن استعادت قوتها في القرن الأول. فاستولت الصين على مناطق مثل جونغاريا... وهذا ما أدى بالترك أن ينقسموا إلى قسمين: قسم جاء خاضعا فألتف حول المعسكرات الصينية، وقسم رفض الخضوع فهرب إلى الجهة الغربية. ولم تدم الطاعة لمدة طويلة، وعاد الخاقان للعصيان وإعلان استقلاله، وهذه الدولة الجديدة لم تبسط نفوذها عليه فحسبه بل إنها بمساعدة الترك. والذي ساعد الصين في ذلك الحين أمران، انتشار الدين البوذي بينهم وانتشار المسيحية بين الرومان في نفس الوقت.

كان الأمر صعبا على الصين بإنزال فريق من الترك في جانب السد، لأنهم استقروا هناك وأصبحوا وسيلة اضطراب مستمر للإمبراطورية الصينية، خاصة عندما تتأخر عن تأدية مرتباتهم. وعزم الإمبراطور "منك تي" بالقضاء عليهم فقاتلهم، وزحف بالترك المغول والموالين له لفتح آسيا

الغربية وترك فرقة من جيش الصين تتعقب العصاة والأعداء. وهنا ضيق الصينيون عليهم الخناق حتى حاصروهم في رقبة جبل الطاي، وتركوا فريقا منهم يخترق خط لحصار، في فراره، ونزول غربا عند قبائل القبجاق. ولما أصاب الصين اضطرابات سياسية أفرج عن الترك، وهذا ما أدى لانقسام الإمبراطورية إلى ثلاث حكومات. وفي ظل الانقسام لعبوا أدوار مهمة وناجحة.

إن مشاكل الصين لم تقتصر على الترك فقط، بل شملت غيرهم، فالترك النازلين بين الصين وفارس تقدموا للجهة الغربية لسببين: أولهما: لأن أبناء عمهم الترك الذين تغلبوا على الصين ضيقوا عليهم حتى أخرجوهم. وثانيهما: هو قيام العائلة الساسانية،[1] في فارس. أما بالنسبة للترك النازلين في جبل "الطاي" وما يلي الصين الخاضعين لها فنزحوا وامتلكوا "جنغاريا" (الطرق الشمالية)، و"كاشغر" (الطرق الجنوبية)، فأعادوا بذلك خط تواصل المشرق والمغرب. فنشروا سلطنة الصين حتى حدود فارس وبيزنطة. وما أوثق الرابطة بينهم هو اعتناق أولئك الترك دين الصين جارتهم.

هذه أهم أخبار الترك السياسية قبل الإسلام. أما فيما يخص أخبارهم الاجتماعية فلا أهمية لها. لانهم كانوا أهل براري وحروب وافتراس. وكان للمرأة شأن عندهم، والأميرة كان لها نصيب من قيادة الجيش أو الملك، أما فيما يخص الميراث أو المهر المتأخر. فيقسمون الإرث بإعطاء الأرض لأصغر الأبناء والخيول للأقوياء، والماشية للضعفاء. وقد يبقى الولد الأوسط بغير ميراث فيذهب لتحري عمن يتبناه. أما الدين بالنسبة "للقبجاق" كان سطحيا. وسكان الصين وفارس كانت تتغلب عليهم مذاهب جيرانهم. فالصينيون كانوا يعبدون في البداية الشمس وغيرها. أما الفارسيون فكانوا يعبدون النار، ومنهم عمن ارتد على شريعة بوذا. وكانت النصرانية،[2] تتقدم في ديار الترك، والبوذية تتغلغل ناحية الصين خلال النصف الثاني من القرن السادس ميلادي.

1- الأسرة الساسانية: امتزج تاريخ ظهور الأسرة الساسانية بالعديد من الأساطير، فقد ذكرت بعض الروايات التاريخية الساسانية أن الملك اردشير (226-241م) مؤسس الدولة الساسانية يعود في نسبه إلى دارا الأول (522 - 486ق.م) آخر الملوك العظام من الأسرة الأخمينية، وقد أوصله نسبه هذا إلى الملك بشتاسب (القرن السادس ق.م) المعاصر لزرادشت. راجع: ابن اسفنديار بهاء الدين محمد بن حسن (ت 613هـ) ، **تاريخ طبرستان**، تر: محمد منادي المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، ص 31.

2- النصرانية لغة: قيل: نسبة إلى نصرانة، وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنسبة إلى الديانة نصراني، وجمعه نصارى. أما النصرانية اصطلاحاً: فهي دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل. أنظر: أحمد بن عبد العزيز الحصين، **النصرانية**، مكتبة الإيمان، ط1، 2011، ص 08.

- إسلام الترك: كان الترك إبان الفتح العربي، يدينون ديانات مختلفة المجوسية، والنصرانية، وثلاثة أرباعهم بوذيون. ولما احتل العرب بلادهم وجدوهم على حالتين مختلفتين: النصارى الترك أثر عليهم أساقفتهم السوريون الذي وجدوا في الفاتحين شبها كثيرا لما لديهم منها، لم يظهروا العداوة للفاتحين.

أما المجوس والبوذيون فنفروا من المسلمين واتحدوا على مواجهتهم. ورغم ذلك الإتحاد لم يدفع عنهم جيش العرب الجارف، واستمروا على اضطهاد الذين يدينون هذا الدين. وعندما بنى مسجد بخارى الأول كانوا يرمون الحجارة على الذاهبين للصلاة من الترك.

إن الإسلام الذي كان بطيء السير في ديار الترك في عهد الأمويين كان أسرع في عهد العباسين،[1] ويرجع الفضل في ذلك للأعاجم الذي أسلموا فنشروا الإسلام إما بالفتح أو السياحات التجارية، وإلى سياسة العباسين في تجنيد الترك وإغداق الإكرام عليهم. كما كان المسلمون ينقلون القرآن الكريم حيث رحلوا ويمثلون دور مبشري النصرانية في العصور الأخير.

كانت سياسة العباسين إزاء الترك افعل من سواها في نشر الإسلام بينهم، والمآخاة بينهم، فالمعتصم وخلفاءه اتخذوا الترك عصبية لهم، ولما انتشر في تركستان، حضرها ووبرها، ما يلقاه الوافدون إلى ديار العباسين من الإكرام والنفوذ، تقاطروا إليها مئات وألوف يطلبون الارتزاق في الجندية. فالذين أسلموا في هذه الدفعة نحو مليون نفس. ثم صار الإسلام ينتشر بينهم في باطن بلادهم: أسلم في بلاسفون وكاشغر عشرة ألاف خركاه، لم يتأخر منهم عن الإسلام سوى التتر والخطأ، وهم في نواحي الصين. وكان إسلام السلجوقيين ورفعهم شأن العنصر التركي في ديار الإسلام مما حرك الترك، وجعلهم يتدفقون إليها كالماء، ويدخلون في الإسلام طلبا للرزق في ظل أبناء جلدتهم.

- شخوص الترك لديار الإسلام: يبدأ عهد شخوص الترك للشرق الأدنى منذ وطئ العرب مواطنهم فاتحين، ولما كانت بغداد قاعدة الدولة العباسية أدنى لتركستان من دمشق، كان أولوا عصبيتها الفرس في خرسان على مقربة من الترك حيث تضاعفت رغبة الترك بالمهاجرة للشرق الأدنى حين أراد

1- العباسيين: أسره عربيه كونت خلافه من سنة 750 بحكم أبو العباس السفاح لغاية ما قضى المغول على حكمهم واعدموا المستعصم بالله اللذي كان آخر خلفائهم في بغداد سنة 1258 (سقوط بغداد بدا حكمهم بعد ما تعاونوا مع العلويين واستطاعوا إسقاط الحكم الاموى. أنظر: محمد الخضري بك، **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية للدولة العباسية**، طبعة مؤسسة المختار، ط1، 2003، ص 10-11..

العباسيون تجنيدهم بعد أن كانوا مماليك بالقصور أيام الأمويين.[1] وكان المنصور الثاني العباسي أول من فطن الاستفادة من بأسهم فألف منهم شرذمة صغيرة. وأتخذ بنو عباس من لدن المهدي والرشيد بطانة واعتبروهم من موالي الترك والروم والبربر وملئوا منهم المواكب، حيث إتخذ المعتصم مدينة سامراء لنزولهم، وكان اسم الترك غالبا على جميعهم، وكانت حروب المسلمين في القاصية خصوصا مع الترك متصلة وللفتوح فيهم متعاقبة، فكانوا يأخذون في تدريجهم لذلك بمذاهب الترشيح فينتقون أجود السبي الغلمان كالدنانير والجواري كاللآلي ويسلمونهم إلى قصارمة القصور وقومة الدواوين ويأخذونهم بحدود الإسلام والشريعة وآداب الملك والسياسة.

هذا وكان يتنازع السلطة على الدولة العباسية في أثناء ذلك عنصران قويان: العرب وهم أصحاب الدولة، والفرس وهم أهل عصبيتها الذين قاموا بتأسيسها، الذين يفرون بالسيطرة والنفوذ، فكانت مكانة الترك عالية حيث لم تكن حاشية الخليفة لتخلو من الترك النافذين مثل طولون والد مؤسس الدولة الطولونية في مصر. وصار الترك منازعا للفرس على النفوذ عهد المعتصم العباسي.

بعد موت المأمون،[2] تأمرت الأجناد الفارسية على مبايعة ابنه العباس بدلا من المعتصم ولم تطل تلك المؤامرة وإنما عول على استبدال عصبية الدولة، ولم يكن له ثقة بالعرب حيث ذهبت عصبتهم وانكسرت شوكتهم أي أن تشجع بالأتراك وهم أخوالهم فجعل يتخير منهم الأشداء ويبتاع بالمال من مواليهم في العراق ويأتيه منهم على سبيل الهدايا حتى بلغ عدد مماليكه منهم سبعين ألفا.

فزادا طمعه بترغيب أمراء الترك وأولاد ملوكهم بالإقامة في دياره كما فعل مع "جف بن نلتكين" من أولاد ملوك "فرغانة" ونظم جمهور منهم فرق وألبسهم الثياب المقصبة المعلمة، فسار لفتح عمورية مع ثلاث فرق: "الأفشين خيذر" ميمنة وفرقة مع "أشناس" ميسرة وفرقة معه في القلب وكانت قوته في الأفشين باعتماده عليهم بالقيادة وخصصهم بالحجابة فستحجب وصيفا مولاه ثم

1- الأمويين: ينتسب خلفاء العهد الأموي إلى جدهم أمية بن عبد الشمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، مما يعني أن لخلفاء العهد الأموي قرابة وثيقة مع حضرة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم، ويعد الأمويون من سادة قريش العظام، ومع أن إسلام أغلبهم قد تأخر، إلا أن منهم من كان من السابقين إلى الإسلام. انظر: سامي بن عبد الله المغلوث، **أطلس تاريخ الدولة الأموية**، دار العبيكان للنشر، الرياض، د.ت، ص 12.

2- المأمون: هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس (198- 218هـ/ 814 - 833م)، ومن أفاضل خلفائهم وعلمائهم وحكمائهم، وكان فطنًا، شديدًا، كريمًا. شهد عهده ازدهارا للعلوم والفكر زمن العصر العباسي الأول، لأنه شارك فيها بنفسه، أنظر: أحمد بن أبي يعقوب، **تاريخ اليعقوبي**، ج1، مطبعة الغرى، 1358هـ، ص182.

محمد بن حماد ثم دنفش. حيث أقطعهم القطائع واتخذت قاعدة الخلافة إلى أن رجع المعتمد بالله منها إلى بغداد. واختار العزلة مع الناس ورغب في مخاطبتهم لغيرهم بسبب كثرة شكاية الناس منهم.

ولما مات المعتصم،[1] جرى ابنه الواثق على سنته فقرب أشناسا وأعطاه علامات الإمارة وستحجب أتباعا ثم وصيفا مولاه ثم دنفشا. بالإكثار من إقناع مماليك الترك، ولاسيما في خلافة المتوكل،[2] الذي كان متعصبا لأهل السنة كارها الشيعة، ويتخذ العرب عصبة له. فسافر إلى دمشق على نية نقل الدواوين الملك إليها وبقي فيها شهريين، وبالغ المتوكل في تقديمه مكان الفرس حتى بانت ناصية الدولة في قبضتهم فستحجب وصيفا وعهد بالقيادة العامة إلى بغا.

على أن إحسان المتوكل إليهم كان وبالا عليه وشرا على خلفاءه، وتآمر الترك مع المنتصر على قتل أبيه المتوكل ومبايعته مكانه، وبدأ عهدهم بالجرأة على الخلفاء، والاستبداد في الدولة.

فقد شاع في تركستان ما صار لبني قومهم في الشرق الأدنى من العز. وصارت هجرة الترك لديار العباسين كالسيل المنهمر. وما لقي الترك من خيرات البلاد الإسلامية التي تنتشر في كل من آسية الوسطى بطريق القدس والسوريين النسطوريين. ان ساعد ذلك في تبديل أهل الشرق الأوسط الأحرف السبارية بالنسطورية في القرن الثامن ميلادي، فلقد أغرت الترك في ديار الإسلام من خلال زحف جمهور منها للخدمة وتقدم عشائرهم لأقصى البلاد على أمل التخلي عليها. لكنهم ما استطاعوا بسط سلطتهم على المسلمين إلا بعد دخولهم الإسلام وسلكوا سبل الخدمة في مملكتهم. فقد حاولت قبائل "الأويغور" و"السلجوقيين" أن يكتسوا الجانب الغربي للعباسين لكنهم ردوا خاسرين من السامانين وأسلم السلجوقيون وأصبحوا أنصارا لدفع بني جارف بني عمهم الأويغور .والعشائر التركية استطاعت أن تنزل بجوای مملكة العباسية في تركستان.

---

1 - المعتصم: أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ثامن الخلفاء العباسيين، ولد سنة 179 هجري وتوفي بمدينة سامراء في 18 من ربيع الأول سنة 227 هجرية (4 فبراير 842 ميلادي)، وكان في عهد أخيه المأمون واليًا على الشام ومصر، وكان المأمون يميل إليه لشجاعته فولاّه عهده، وفي اليوم الذي توفي فيه المأمون بمدينة طرسوس بويع أبو إسحاق محمد بالخلافة ولقب بالمعتصم بالله. راجع: أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، بيروت، د،ت. ص 117.

3- المتوكل: هو جعفر بن محمّد المعتصم أخو الواثق، وأمّه من إماء التّرك واسمها شجاع، بويع بالخلافة سنة 232هـ-847م، بعد موت الواثق، وكان عمره 26 سنة، لكن تلك المبايعة لم تكن بعهد مسبق من أيّ خليفة، لأنّ الواثق مات دون أن يعهد بالخلافة لأحد بعده لصغر أبنائه، وكان المتوكّل جامعًا لجميع الأخلاق الحسنة، أنظر: جلال الدين السيوطي **كتاب تاريخ الخلفاء**، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكّة المكرّمة، 2004، ص 252-255.

ثانيا: الجزء الخاص بالتاريخ والعصر المغولي: واهم ما جاء فيه:

- أصل المغول وجنكيز: لما ضعف العنصر التركي، أصيبت السلطنة السلجوقية.[1] بالانحلال، وخلا الجو للعناصر الإسلامية الأخرى كالعرب، لينطلقوا للاستقلال والتوسع. لكن الحضارة والاستعباد فقد فعلا فعلهما بهم، وتركوا الفرصة لأمة غريبة جاءت من بلاد بعيدة فاكتسبتها. ألا وهي أمة المغول البدوية.

لقد بينا أن قسما من عشائر الترك كان جندا للصين، فلما خلصت الحوادث على هؤلاء بالمهاجرة عنها إلى الشرق الأدنى، فقام المغول بتجنيد للصين، وبرز ظهورهم فيها ولا سيما منذ أن أعطوا خدماتهم للعائلات المالكة الصينية المتقاتلة.

في أوائل القرن السادس للهجرة كان يتزعم المغول أمير من "آل برودیجان" الذي مات وأولاده صغار وأخذ نسيبه منه الإمارة، فهاجرت امرأته وأولاده إلى رحاب أخ له بالعهد، حيث قامت زوجته بتزويج ابنها إلى إحدى بنات آل كونكراد فأصبحت تلك العشيرة عصبية له. وكان ابنه طموحا كبيرا، ورغم المعاكسات التي تعرض لها من قبل أخيه وأقاربه وجيرانه إلا أنه استطاع أن يستخلص لنفسه الإمارة، ويبسط سلطانه، تارة بالهبة وتارة أخرى بالرغبة من الصين، التي كان يتقاضى من حكومتها الشمالية حراسته الحدود، إلى ديار الإسلام، حتى وصوله إلى عاصمة الترك قره كوروم، بايعه أثناء فتوحاته تسعة عشر أميرا من المغول وسموه جنكيز خان أي السيد المطلق.

لم يقتصر طموح جنكيز خان على زعامة أهل البادية فحسب، بل سرعان ما تغيرت نظرته أن يكتسح العالم المتمدن فابتدأ بالصين، وغزاها مرتين وافتتح الدولة الشمالية فيها. بينما توغل جنوده في الصين وكوريا، تحولت مطامعه إلى الشرق الأدنى وأكتسب الكثير من العمران والخيرات،

وقد أهنى تلك المطامع فيه بديار الإسلام ما وصل إليه من تنازع ملوكها، فأغتنم الفرصة، وجهز أحد قواده لاكتساحها فتغلب على أطراف مملكة "كشلي خان" التركي حاكم سمرقند.[2] ثم لما بلغ مسامعه خلاف محمد علاء الدين سلطان خوارزم وبين الخليفة العباسي، خرج جنكيز خان

1- السلطنة السلجوقية: هي دولة بني سلجوق أو دولة السلاجقة العظام هي واحدة من الدول الكبرى في تاريخ الإسلام، وإقليم وسط أسيا، لعبت دورا كبيرا في تاريخ الدولة العباسية والحروب الصليبية والصراع الإسلامي البيزنطي. أنظر: علي محمد الصلابي، **دولة السلاجقة**، دار إبن الجوزي، القاهرة، ص 19-21.

2- مدينة سمرقند: تقع في آسيا الوسطى، أو بلاد ما وراء النهر. وأصل الاسم "شمر أبو كرب"، ثم حُرِّف الاسم إلى "شمركنت" ثم عُرِبت إلى "سمرقند"، ومعناها وجه الأرض. أنظر، أبي حفص السمرقندي ت 537 هـ، **القند في تاريخ سمرقند**، تح: يوسف الهادي، مركز نشر التراث المخطوط، طهران، 1999م، ص259.

وتقدم واستولى على كل من وراء النهر وخوارزم وخرسان وقندهار وملتان وبسط يده على أطراف الهند الشمالية والغربية، بعد أن كان يتخوف من الخوارزميين.[1]

أما "خوارز مشاه"، فهرب إلى قلعة في جزيرة بسكون في بحر طبرستان. وأما الخليفة فقد أدرك سوء العاقبة فهب لدعوة ملوك الإسلام للإتحاد لمجابهة المغول، فلباه فريق منهم، واستمر الفريق الأخر مشغولا بالحروب الصليبية. رغم اتحادهم إلا أن ذلك لم يجدي نفعا،فقد انهزموا واستمر المغول في التقدم، وامتلكوا سير حسنا من أذربجان وإيران، ولولا موت جنكيز خان وتغير وجهة الفتح إلى جهات أخرى لما توقفوا إلا عند البحر المتوسط.

إن جنكيز لم يمكث أن توقف عن التقدم في ديار الإسلام وفي أثناء سيره إلى الجهة الشمالية مع جيوشه بلغ بلغاريا، زحف إلى الشرق الأقصى للقضاء على مملكة الصين الجنوبية، كما فعل من قبل بالشمالية. فمات في طريقه إليها. بعد أن أقام دولة لم يتسنى لأحد مثله من الفاتحين ورغم موته إلا أن أخباره لم تنقطع وصورته لم تمحو من مخيلة الناس. لم يكن بريئا كل البراءة إلا أنه لم يكن محروما من العظمة التي يجب أن تقدر له.

ورغم انه كان أميا إلا أنه كان ذكيا بارعا في فنون الحرب متسامحا لا يميز بين المجوس أهل مذهبة والأديان الأخرى. رأى جنكيز قومه محرومين من لغة مدونة وشريعة قومية فجمع عقلاءهم وأمرهم أن يضعوا له حض وقلما يكون له علما وعملا وأن يؤلفوا الشريعة بلسانهم فقاموا بكل ذلك ولا تزال بعض الأحكام في آسيا ترجع إلى كتابه الذي سماه السياسية الكبيرة. أما في فن الحرب فقد برؤوهم من الوحشية رغم أن المغول كانوا أقل مقدرة أدبية ومدنية من سائر الأمم إلا أن انتصاراتهم أسندت إلى معرفتهم التامة بأصول الحرب.

- <u>المغول بعد جنكيز خان:</u> قسم جنكيز خان ملكه على أبناءه فأعطى لدوشي خان البلاد التي تمتد من أطراف قسنطينة إلى فارس، وجعله حاكما على القبجاق[2] والكرج والبلغار والروس وشطر من فارس،

1- الخوارزميين: الخوارزمشات أو شاهات خوارزم هي سلالة تركية مسلمة سنية حكمت أجزاء كبيرة من أسيا الوسطى وغرب إيران بين سنوات(1077_1220). انظر: حافظ حمدي، **الدولة الخوارزمية والمغول**، دار الفكر العربي، د.ت، ص ص 23 24

2- القبجاق: هي تحالف من القبائل التركية تعود أصولها إلى خاقنية كيماك فتحوا مناطق شاسعة من السهب الأوراسي أثناء القرنين 11 و13 تعرضوا للغزو المغولي في القرن 13 ميلادي. راجع: المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ط1، تح: محمد عبد القادر عطا، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997. ص394-395.

أما ابنه "جغطاي" فولاه على خرسان وخوارزم ومابين النهرين، وعين "أقطاي" على كرسي مملكته في "قره كوروم". أما ابنه طولي فلم يعطي له شيء واكتفى بأن جعل ابنه "أوتكين" على بلاد "الإبخاذ"، حيث كان حاكما على المغول والترك النازلين حول نهري "أركون وأنون".

مات كل من "دوشي" و"طولي" في حياة أبيهما، فصار خلاف بين الإخوة وعقدوا اجتماع في قره كوروم وعينوا أوقطاي على كرسي الإمبراطورية وخلف أبوه جنكيز. وبعد قتال دام سبعة عشر عاما بين قوبيلاي وأخيه، إلا أنه لم يستطع الحفاظ على وحدة الإمبراطورية المغولية، كما أن دولته اتخذت بكين كرسيا لملكها، واكتسبت صبغة صينية، ولم يبقى لها تدخل في الشرق الأدنى، وقد دامت هذه الدولة حتى قضى عليها الصينيون. أما المملكتان المغوليتان اللتان استمر لهما اتصال مع الشرق الأدنى هما حكومتا هولاكو وأل دوشي.

- المغول يلاشون شاهية خوارزم: ذكرنا سابقا كيف أرغم المغول علاء الدين شاد خوارزم على الفرار من وجههم إلى جزيرة في بحر الخزر ومات هناك شريدا طريدا. أما ابنه جلال الدين فهرب إلى دلهي في الهند وتزوج من ابنة سلطانها. أما أخوه غياث الدين فأنشئ مملكة له على أطراف فارس الغربية وأذربيجان وأساء التصرف، اغتنم أخوه جلال الدين فرصة هدنة المغول لاجتماع زعمائهم في قره كوروم من أجل مبايعة أقطاي خلفا لجنكيز، فسار جلال الدين بجيش دعمه به عمه سلطان دلهي، وأغتنم فرصة نقمة أهل مملكة غياث الدين فأقصاه عن العرش وتولى مكانه، وقام بفتح البلاد.المجاورة وأدخل في حكمه كل من فارس وشطر من خراسان وأذربيجان، واكتسب سمعة حسنة بعد أن هزم الكرج والقفقاسيين الذين أفسدوا في ديار الإسلام. لكن سرعان ما نسي كبار المسلمين تكالب الأمم عليهم من الشرق والشمال والغرب، ورغم الآمال التي كانت معلقة على جلال الدين إلا أنهم لم يتحملوا شدة أخلاقه فهبوا لقتاله.

عادت جيوش المغول بعد تتويج أقطاي، لاكتمال الفتح، وتوزعت الجيوش بين بلاد الإسلام وأوروبا والتبت وقره قطاي. لكن بلغ جلال الدين عبورهم نهر أموية وإنهم لم يجدوا استغاثة من ملوك المسلمين، واستمر المغول في الطلب حتى بلغ كردستان حيث قتله الأكراد فاضمحلت لموته الدولة الخوارزمية واندك بزوالها السور المنبع الذي كان يدفع المغول عن الشرق الأدنى.

- المغول يخضعون سلاجقة قونية: تردد المغول في التعرض لبلاد الخليفة مباشرة، كما أن جنكيز وقف عندها، كذلك جرماغون تحول عنها إلى سلاجقة قونية في آسيا الصغرى. كما تثبت الروايات عن قيام

دولة آل عثمان بأن السلطان علاء الدين الأول السلجوقي انتصر على المغول وذلك بما قدمه له أرطغرل جد سلاطين آل عثمان من نجدة صدفة.

من المعروف أن سلاطين قونية صاروا يبذلون الطاعة والخضوع للمغول ففي العام الذي انتصر فيه علاء الدين أرسل رسولا إلى الخان يبذل الطاعة، لما اعتلى ابنه غياث الدين العرش حاول الدفاع عن استقلال بلاده، فقام بجمع جيش لمواجهتهم كانت قوتهم افعل من عدد جيشه، وما ساعد دخول سلطنته تحت سلطنة المغول هو الانشقاق الذي حصل بين خلفائه، ووصلهم خبر أن هولاكو أمر بتقسيم السلطنة السلجوقية بين الأخوين المتنازعين عز الدين وركن الدين إلا أن انقرضت على يد المغول والقضاء عليها واستقلال آل عثمان.

- هولاكو يقضي على العباسيين والخلافة: بانتهاء حفلات مبايعة الخان الجديد منكوبن طولي، وتنصيب قوبيلاي على ترك القره خيطاي. حيث قام الخان بتجهيز لتتمة الفتح، فاتجه سوبطاي إلى جنوب الصين وهولاكو[1] إلى الشرق الأدنى وديار الإسلام. ويقول بعض المؤرخون أن هولاكو لم تكن له نية في التعرض للأمصار العربية، وإنما جرته المناسبات إليها. ومن حسن حظ المغول أن خلافة العباسية صارت للمستعصم. هذا الأخير الذي كان يكتفي ببغداد.

كما استنجد هولاكو بالخليفة على الإسماعيلية، ولما لم يساعده حمل جيشه وقسمه إلى قسمين: قسم تولاه هولاكو بنفسه ليهاجم به بغداد من الشرق، وقسم آخر بغداد من الغرب بقيادة باجو. وتفطن الخليفة المستعصم متأخرا. فخرج وحاشيته من بغداد مستعذرا، لكن هولاكو أعدمه وأهله ورجاله ودخلوا بغداد، فقتلوا فيها ما يزيد عن مليون رجل. ولم يسلم من العباسين إلا مبارك شاه أصغر أبناء الخليفة، وأرسل إلى بلاد المغول وتزوج منهم.

سقطت الدولة العباسية بسبب حملة هولاكو على دار الخلافة واستمر المسلمون ثلاث سنوات ونصف من غير خليفة إلى أن بويع في مصر أحمد بن الطاهر بالله. كان إبن وزير الخليفة يريد أن يمثل دور أبي مسلم الخرساني ويقيم على أنقاض العباسين دولة علوية. خرج هولاكو من عاصمة المغول وهو مأمور بفتح ديار الخليفة.

1- هولاكو خان: هو حاكم مغولي احتل معظم بلاد جنوب غرب أسيا بعد أن قتل الملايين من أهلها، وتوسع جيشه كثيرا بالجزء الجنوبي الغربي للإمبراطورية المغولية. أنظر: الصاوي محمد، **هولاكو الأمير السفاح**، مكتبة النافذة، ط1، دار الطيبة للطباعة، الجيزة، مصر، د، ت، ص 26.

أرسل هولاكو رسالة لملوك المسلمين يأمرهم بالحضور إليه وبذل الطاعة في بغداد. فلبى دعوته فريق منهم، وتخلف آخرون، وانتهز المغول هذه الفرصة لفتح الشام، فسار هولاكو بجيشه ودخل حلب وقتل فيها، تمكن المغول من الإستلاء على القسم الأعظم من مدن الشام، حتى غزة من غير قتال. حيث بقيت بعض المدن الشامية تحت إمرة الصليبيون، أهمها أنطاكية ويافا وعكا، لم يتعرض المغول إليها لأن العلاقات بينهم كانت حسنة.

علاقات هولاكو مع النصارى: كان هولاكو متسامحا بالدين، مثل جنكيز خان[1]، ومقربا له العلماء على اختلاف أديانهم. ويظهر أن عطفه كان على النصارى خاصة إذا كانت أمه وزوجته وقائد جيشه مسيحيين. فقد دعا البابا اسكندر الرابع هولاكو للمسيحية لكنه رفض ومات بوذيا. كما كانت علاقات هولاكو السياسية حسنة مع الصليبيين، ولما أراد هولاكو اكتساح ديار الإسلام راسل الخان منكو، إلا أن لويس ملك فرسا أرسل الراهب روبريكس إلى رحاب جيوش الخان فنقض الاتفاق المبرم بينهما على المسلمين ولولا ذلك لما سلمت مصر من أذاهم.

أوحشي هولاكو أم عمراني: ثبت لنا من قبل أعمال هولاكو أنه وحش كسرجاد من أجل القتل والخراب وإبادة العلم وأهله. فبعد الفتح قام بإحياء العلوم ونشطها. وكان غرضه من إغراق كتب المسلمين هو محو أثارهم وعلومهم لأنها أساس بناء الدول. في المقابل أمر هولاكو نصير الدين الطوسي العالم ببناء المراصد وإنشاء المكاتب ووضع الأموال تحت تصرفه ليعمل على ترقية العلم ونشره. أنشأ مكتبة عظيمة فسيحة الأرجاء ملأها بالكتب التي بقيت من منهوبات بغداد والشام والجزيرة.

المماليك البحرية يحلون المغول: رأى الملك الصالح الأيوبي[2] الذي تولى ولاية مصر أن حملات المغول على الشرق الأدنى ملأت الأسواق بالأقارب والعبيد فأراد أن يتخذ منهم حرسا خاصا، أسكنهم على الشاطئ الشرقي فلقبوا بالمماليك البحرية. غير أن هؤلاء المماليك سرعان ما نقلوا الملك من نسل

1- جنكيز خان: وهو مؤسس وإمبراطور الإمبراطورية المغولية والتي أعتبرت أضخم إمبراطورية في التاريخ ككتلة واحدة بعد وفاته ارتكب مجازر كبيرة بحق المسلمين. أنظر: ثروة عكاشة، **إعصار من الشرق جنكيز خان**، دار الشروق، د.ت، ص 09-10.

2- الصالح الأيوبي: الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين والدنيا يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدُويني التكريتي (532 - 589 هـ / 1138 - 1193 م)، المشهور بلقب صلاح الدين الأيوبي قائد عسكري أسس الدولة الأيوبية التي وحدت مصر والشام والحجاز وتهامة واليمن في ظل الراية العباسية، بعد أن قضى على الخلافة الفاطمية التي استمرت 262 سنة، أنظر: منير بعلبكي وشفيق حجا وبهيج عثمان، **المصور في التاريخ**، ج6، الدولة الفاطمية، دار العلم للملايين، بيروت. د.ت، ص 36.

سيدهم الملك صالح. وبعد موت هذا الأخير ترك ولد صغير فاستضعفوه وعينوا مكانه معز الدين أيبك.[1] فانقرضت الدولة الأيوبية وبدأت حكومة المماليك البحرية.

ولما أتم "معز الدين أيبك" نحبه لم يدع علي بن عز الدين يكمل ثلاث سنوات على كرسي الملك، تغلب عليه وحكم مكانه باسم الملك المظفر.[2] وهو صاحب فضل إجلاء المغول من سوريا، وعندما سمع المظفر بتغلب هولاكو على سوريا تخوف من مهاجمة المغول مصرا، فخرج لمواجهتهم بجيش من القبائل العربية. ولحسن حظه وصله خبر موت إمبراطور المغول منكو، فرحل هولاكو بعسكره لأسيا الوسطى تاركا في سوريا عدد قليل من عساكره، فتشتت شملهم عند التقاء الجيشين قرب عين جالوت في فلسطين. كما قتل المملوك بيبرس المظفر وهو عائد إلى مصر، وتولى مكانه باسم الملك الظاهر، الذي أراد أن يستعيد دار الخلافة ببغداد، وأراد أن يرجع الخليفة العباسي الذي بايعه في مصر إلى مقام أبائه.

إن قوة المماليك التي تمكنت من المغول في سوريا لم تكن كافية لمداهمتهم في العراق. وكان نصيبهم من الحملة هو الانقراض. كما عجز المماليك في التغلب على المغول بدار ملكهم بفارس، فقد فشلت محاولة هولاكو في استرداد سورية، ودافع الظاهر بيبرس ملك مصر دفاع الأبطال عنها، وانقسم المغول وتجزأت إمبراطوريتهم إلى خمس دول بعد موت "منكو خان".

توقف الملك "الظاهر بيبرس"[3] بواسطة "بركة خان"[4] بن باطو آل دوشي ملك روسيا الجنوبية وأراد أن يقنعه على اعتناق الإسلام، وبسبب ذلك حدث انشقاق بين هذه الدولة آل هولاكو في فارس. فسلم المسلمون من أذاهما.

1- معز الدين أيبك الجاكشنير التركماني الصالحي النجمي: أول سلاطين الدولة المملوكية نصب سلطان على مصر في عام1250. "عز الدين أيبك.. الملك المعز"، www .islamstory .com. اطّلع عليه بتاريخ 14-07-2020.

2- الملك المظفر سيف الدين قُطُز محمود بن ممدود بن خوارزمشاه هو سلطان مملوكي (توفي 658 هـ الموافق 1260)؛ تولى الملك سنة 657هـ/1259م، ويُعدّ قُطُز بطل معركة عين جالوت وقاهر التتار المغول، ومُحرر القدس من التتار؛ كما يعد أحد أبرز ملوك مصر، وذلك على الرغم من أن فترة حكمه لم تدم سوى أقل من عام واحد، أنظر: علي محمد الصلابي، **السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت**، دار عدنان للطباعة، د.ت، 130.

3- الظاهر بيبرس: الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي لقب بأبي الفتوح، سلطان مصر والشام ورابع سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي. أنظر: موستراس، س، **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، تر: عصام محمد الشحادات، ط1، دار إبن حزم، بيروت، د.ت، ص200.

4- بركة خان: هو زعيم القبيلة الذهبية، وقد كان إبن عم هولاكو تحالف مع الملك الظاهر بيبرس.

إن الإسلام لم يقتصر بالتسرب إلى دولة آل دوشي فقط بل أصبح سريع الانتشار بين المغول كافة وعواهلهم، وعلت كلمة الإسلام في جوف تركستان، لأن عرش دولة مابين النهرين صار تحت حكم مبارك شاه المغولي المسلم تحت إدارة مسعود بن محمود.

- تأثير المغول على شخوص العثمانيين: فزحف المغول للجهة الغربية بقيادة جنكيز نفر الترك. وتقدموا إلى ديار الإسلام كلما تقرب منهم المغول، وتقدمت قبيلة قايي إلى ماهان في كرمان، ثم تأهبت في خرسان لخوارز مشاه جلال الدين أثناء حروبه مع المغول، التي شتتت أجناده فولي سليمان شاه، جد آل عثمان ووجهه لقسم من كردستان فنزل مدة في أخلاط ثم رحل إلى "أرزنجان". ولم تعجب "سليمان شاه"[1] تلك الربوع، وسمع بسكون الكارثة المغولية على أثر موت جنكيز ورحيل الأمراء إلى قره كوروم لمبايعة خليفة له، فمات أثناء اجتيازه نهر الفرات عند قلعة جعبر.[2] ودفن هناك.

حيث أن أولاده لم يكون كلهم موافقينه الرأي في الرحلة إلى حرشان لأنهم انقسموا إلى قسمين بعد موته، واصل ابنيه الكبيرين كونطغدي وسنقورتكين مع العدد الأكبر للجيش قدره 400 شخصا. لكن أرطغرل لم تناسبه المنازل في باسين وسور مصلى جوقور في آسيا الصغرى، فتقدم إلى الجهة الغربية، وبينما هو عائد رأى على مقربة من حدود دولة السلاجقة روم جيشين متصارعين، فهب أرطغل لنجدة الجيش الضعيف وذلك بغضا في المغول فقاتلهم وكان النصر حليفة. فأنتصر أرطغرل بمساعدة من علاء الدين الأول سلطان قونية السلجوقية وهزم جيش خان أوكطاي ابن جنكيز، وعهد إليها إكمال الفتح في آسيا الصغرى.

قام علاء الدين بإعطاء أرطغرل بك.المنحدرات الشرقية من جبال لاطومانيع وأرميني للصيف. وسهول سكود لشتاء، ولقب محافظ الحدود من أجل أن يشكره على مساعدته. لكن "أرطغرل"[3]

1- سليمان شاه: قائد قبيلة قابي من أتراك الأوغوز وهو إبن قابا ألب ووالده الغازي أرطغرل وجده عثمان، مؤسس الدولة العثمانية. ". ترك برس. 2015-02-24. مؤرشف من الأصل في 2 أبريل 2018. اطلع عليه بتاريخ20-07-2020.

2- قلعة جعبر: تقع في منطقة الجزيرة السورية على الضفة اليسرى لنهر الفرات على بعد 53 كيوا مترا من مدينة الرقة في سوريا و13 كيلوا من مدينة الثورة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977. ص 142.

3- أرطغرل: هو الأمير الغازي أرطغرل بك بن سليمان شاه القايوي التركماني المولود حوالي 1191م، توفي 1218م، بمدينة سكود بالأناظول هو والد السلطان عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية، هو قائد قبيلة قابي من أتراك الأوغوز. انظر: منير بعلبكي وبهيج جحا شفيق، **المرجع السابق**، ص 116.

كان طموحا لم يقبل أن يكون محافظا على الحدود بل أراد الإستلاء على المناطق الأخرى من بلاد الروم بإسم علاء الدين حتى وصل اسكيشهر.

وبعد الحرب التي دامت ثلاث أيام بلياليها بين علاء الدين والمغول وما حققه أرطغرل من إنجازات منحه كذلك علاء الدين قره حصار،[1] وبيله جك،[2] ومصايف طمانيج وأرمني ومنحة لقب جبهة السلطان "سلطان أوكي". وفي عام دخول هولاكو بغداد وانقراض العباسين، ولد في سكود إبن أرطغرل فسماه عثمان، الذي خلف أباه عقب موته الذي فصل بين بداية ونهاية دولتين عظيمتين العباسية والعثمانية. فقد تمكن عثمان من فتح مدينة تلوى الأخرى في آسيا الصغرى وكذلك استولى على قره حصار التي كانت تحت إمرة نيقولا عامل البيزنطية، فقدره السلطان علاء الدين وأرسل إليه لواء أبيض وآلات موسيقى ومنشورا بإمارته ولقبه فيه عثمان غازي.

- تأثير المغول على استقلال آل عثمان: عندما كان عثمان شاه جد آل عثمان، يواصل تقدمه على الحدود البيزنطية شمال آسيا الصغرى، قسم فتوحاته على أولاده وقومه. وكاد المغول يجددون عهد الفتح لما تولى غازان بن أرغو العرش بعد وفات جده هولاكو، إلا أنه رغم نشأته الصينية البوذية اختار الإسلام دينا له، وحاول أن يجمع تحت سلطته بلاد المسلمين، وكان لمماليك مصر اليد في دفعه عن البلاد العربية الواقفة على المتوسط فأتجه للأناضول وقضى على دولة قونية السلجوقية، وهذا من حسن حظ آل عثمان، حيث اقتدى عثمان شاه بغيره من الأمراء بلغ عددهم ثلاثة عشر أميرا وأسس كل واحد منهم حكومة مستقلة على أنقاض الدولة السلجوقية وتلقب بالسلطان عثمان،[3] وأعلن استقلاله وأسس الإمبراطورية العثمانية التي شغلت حيزا واسعا من تاريخ العالم القديم.

1- قره حصار: هي مدينة في غرب تركيا وعاصمة محافظة أفيون قره حصار تقطع أفيون 250كم (155ميل) جنوب غرب أنقرة على طول نهر أقرتشاي. موستراس. س، **المرجع السابق**، ص 393.

2- بيله جك: محافظة بيله جك هي إحدى محافظات تركيا، وعاصمتها مدينة بيله جك التي كانت العاصمة الأولى للدولة العثمانية عند تأسيسها سنة 1299م. موستراس. س، **المرجع السابق**، ص 194.

3 - وُلد عُثمان الأوَّل سنة 656هـ/1258م، للأمير أرطُغرُل الغازي، عامل سلاجقة الروم على إحدى الثُغور المُطلَّة على بحر مرمرة، وحليمة خاتون. تصادف مولده مع اليوم الذي غزا خلاله المغول مدينة بغداد عاصمة الدولة العبَّاسيَّة وحاضرة الخِلافة الإسلاميَّة، الأمر الذي جعل المؤرخين العُثمانيين اللاحقين يربطون بين الحدثين بِطريقة دراماتيكيَة. تولّى عُثمان شؤون الإمارة وزعامة العشيرة بعد وفاة والده، أنظر: منير بعلبكي وجحا شفيق، **المرجع السابق**، ص116.

ثالثا: حال عالم الشرق والإسلام حين ظهور المملكة العثمانية:

تزاحم الشرق والغرب: كانت السيادة للشرق إلا أن دفع اليونان جارف الفرس، رفع الإسكندر بن فيليب رايته في أوساط آسية، وكان الفضل للرومان بنشر سيادة الغرب على أطراف الشرق، فاستولوا على قرطاجية ومصر، فضلا على الشرق الأدنى، فاضمحلت الفرس. لكن نهوض العرب بالإسلام لم يتوقفوا استعادوا سيطرة الشرق على الغرب ودامت حوالي ألف عام.

خلال تلك الفترة تحفز الغرب للوثوب على الشرق وارتاحت لما ألت إليه حال الدول العربية ولا سيما اضمحلال العباسية بسبب تغلب الترك البدو وتخاصمهم فإنه چمزال يتهيب جانب الإسلام ويخيف سطوته لأخذ الأتراك الداخلين في الإسلام حديثا، وحمايته ورفع شأنه، وبعد موت "ملكشاه السلجوقي".[1] نشب خلاف بين قومه دام عشرين عام خلت من نداء البابوية، كانت دعوة نساك فقير كافية بجمع أوروبا على حرب الإسلام تحت ستار إنقاذ قبر المسيح، متذرعين بتبديل الترك تلك المعاملة الحسنة التي كانت يبذلها العرب للحجاج، فعمل الصليبيون على الشرق الأدنى ثماني حملات والتي عجل لها الغربيون على الشرقيين مدة جيلين أهلك بعضهم بعضا، ثم تحرر الشرق الأدنى بواسطة العناصر الأعجمية، وانسحب الصليبيون منها وكف المغول عن شرهم عنها، وبعد أن ترك كلاهما المدينة العربية والديار الإسلامية

حال الشرق الأدنى: تولت على الشرق الأدنى أربعة أجيال، ذاقت فيها من المصائب لو أصابت أمة واحدة لدكتها دكا. وعقب انقضاء القرنان الرابع والخامس للهجرة ذاقت رعية الدولة العباسية الأمرين من الترك وديلم على إمارة الأمراء، وسلطنة دار الخلافة، كما تلاهما قرنان أ، كما تلاهما قرنان آخران أدهى وأمروا ذلك بسبب تنازك الأعاجم، وفي القرن السادس والسابع انشقت كلمة السلاجقة فقاتلوا واستهانا بهم أعدائهم والخليفة والإنقسامات العائلية التي دارت بين آل الملوك وآل رنكي وآل أيوب وآل خوارزم، وتخاصم أهل الشيعة والسنة، وفازت الإسماعيلية بخرسان والباطنية في واسط،وكانت أحوال المسلمين هذه مطهة بهم الأغيار فأنهار عليهم الجارف الصليبي من الغرب كما أغار على الشام البيزنطيون، وعلى أرمينة الكرج من الشمال ثم داهمهم المغول من الشرق فكانت الطامة الكبرى. وكان خط البلاد سوى الخراب والمصائب مدة قرنين وأكثر.

1- ملكشاه السلجوقي: هو أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب بجلال الدولة.

المصائب المعنوية: الأمن والعدل أساسا العمران والمدنية، ويشترط أن ترافقهما كثرة اليد الصناعية والزراعية والتجارية ولابد أن يسود العلم كذلك لكي يكون هنا نمو قائم على الأمن والعدل.

حال العالم الإسلامي في الغرب: بسبب التمدن العربي في الأندلس تغلب الشرق على الغرب. ولما تنازعتا هاتين القارتين حول السيادة واستمر الحرب، ولم يدم طويلا إلا أن صار تطرف مقام الأندلس عن بقية الأمصار العربية من أسباب انفصالها عنها سياسيا ودينيا. وهناك أسباب أخرى عجلت بالانفصال التي ترجع بأصلها إلى عهد الفتح كالحسد والحب الذاتي.

دب الحسد في فواد موسى بن نصير،[1] لما جاءه رسول طارق بن زياد،[2] مبشرا بفتح الأندلس، فكتب له بمكتوب يطلب فيه منه اللبوث في مكانه، ويتوعده بأن يكمل الفتح بنفسه. ولما نهى الخليفة الوليد موسى بن النصير أن يبلغ الشام مجتازا أوروبا إلى القسطنطينية، أثر فيه ذلك فقفل إلى الشرق قبل استئصال الحظر من جرثومته. كانت عاقبة ذلك إغفال المسلمين للحاق بالقوط.

كانت في أحسن أيام الأندلسيين في الغرب عهد عبد الرحمان الناصر ، ورغم الترف والدعة إلا أن الدولة الأموية انقرضت، وانقسمت لإحدى عشر مملكة، وانفصلت إفريقيا عنها وخاصمتها بعد أن كانت تابعة ونصيرة لها. ولولا اجتياز يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين في المغرب الأقصى واستجابته لدعوة الأندلسيين فيها، لاسترجاع دولة قشتالة البلاد قبل حين.

إن الموحدين لم يتغلبوا على المرابطين إلا بعد زمن طويل، لكن الحروب المتصلة فتحت المجال أمام مملكة قشتالة التقدم لفتح الأندلس التي كادت أن تمتلك قرطبة وعاصمتها.ولما استقر أمر الموحدين انصرفوا لاسترداد ما ذهب الأندلس فأشتبك المسلمون والمسيحيون بحرب طاحنة كانت العاقبة فيها للمسيحيين.

- الحروب بين الخليفة والبابا: نجاح الشرق كان كبيرا على الغرب، وبانقراض دولة المرابطين في المغرب التي كانت دولة قوية، هم الصليبيون للقضاء على دول الأندلس.

1- عبد الرحمان موسى بن نصير: قائد عسكري عربي عصر الدولة الأموية شارك في فتح قبرص عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك هو موسى بن نصير". راجع: wikiwand. www. com، اطّلع عليه بتاريخ 20-07 -2020. بتصرّف.

2- طارق بن زياد: هو قائد عسكري مسلم قاد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية خلال الفترة الممتدة بين عامين 711و 718م بأمر موسى بن النصير. مولاي البرجاوي (7-1-2009)، "القائد المجاهد طارق بن زياد بين الروايات المتناقضة؟"، www .alukah.net ، اطّلع عليه بتاريخ 1-06-2020، بتصرّف.

كان البابا يحفز المسيحيين للإتحاد من أجل أخذ الهراطقة من الأندلسيين، وأما خليفة دولة الموحدين كان يستفز المسلمين بجهاد المشركين من أجل الوصول إلى الأندلس. وبقى النصر حليف المسلمين إلى انكسارهم بوقعة العقاب وثم تقم لهم من بعدها قائمة.

ولولا انشغال محمد الناصر بعد الجهاد وحكم عرش الموحدين الضعفاء، فخرج عليهم الخواج، وبدأت الثورات والانقسام والاعتداء، كما فعل المأمون بن المنصور.

لم يكن يلي دعوة الخليفة للجهاد إلا بعض القبائل والأقطار التابعة له، لأنهم لم يكونوا يعترفون بصحة خلافته وهو من البربر. إن السادة في الأندلس تأثروا بالحكم ثم تجمعوا على إخراج دولة الموحدين منها.[1] إلا أن التنازع لم ينهى بانتهاء دولة الموحدين، بل يزاحم كل من ابن الأحمر وابن هود على رئاسة البلاد، وطلبوا كلاهما المساعدة من الإفرنج. وكانت هذه الأخيرة تغتنم الفرصة لامتلاك المدن واحدة تلوى الأخرى، ولم يستقر ابن الأحمر إلا أن أضاع من الأندلس خيارها، وتعاهد مع ملك قشتالة على أن يتنازل له عن جميع بسائط، عرب الأندلس ولجأ بقومه إلى سيف البحر، واتخذ غرناطة قاعدة لدولته. قامت في مراكش دولة بني مرين على أنقاض مملكة الموحدين كاد سلطان يعقوب خلق لملك قشتالة.[2] برده مع مع أنه كان متحد مع إبن الأحمر. لكن سرعان ما ماتت أماله بموت هذا السلطان، وكان من حسن حظ دولة البرتغال التي استغلت الانشقاق بين خلفاءه، فصارت تملك ثغور الغرب وحدا تلو الأخر.

وشب الخصام بين بنوا الأحمر، واتحد عرش أرغوان وقشتالة بزواج ملكيهما.

نتيجة تلك الحرب ماديا: إن الأندلس وبلاد المغرب كانت غنية بالثروات لدرجة لا تصدق، إلا أن أصابها حروب وفتن وقحط ووباء وغيرها. وروى المؤرخون عن دول المغرب الأقصى أنه عندما أحتل القوطيون الأسبان حصون المسلمين في الأندلس قتلوا العديد من أهلها حتى خلت المساجد والأسواق من الرجال وانتشار الجوع والوباء في المغرب في القرن السابع هجري، ارتفعت أسعار القمح لمدة خمسة أعوام وأكل الناس بعضهم بعضا.

1- دولة الموحدين: هي دولة إسلامية أسسها الموحدون وهم من سلالة البربر تأسست في القرن الثاني عشر حكمت بلاد المغرب (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا) والأندلس. راجع: باحثون عرب، **دائرة المعارف العالمية، الموسوعة العربية العالمية**، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية ج24، ص 371.

2- مملكة قشتالة كانت واحدة من مماليك القرون الوسطى في شبه الجزيرة الأيبيرية برزت ككيان سياسي مستقل في القرن السابع ميلادي. راجع : اغب السرجاني، **قصة الأندلس**، مكتبة المنار، الأردن، د.ت، ص 430، ج1.

نتيجة تلك الحروب أدبيا: كان الأمويون الأندلس حريصين على التشبه بالعباسيين، ولما حكم إبن الناصى أهتم بالعلم، واقتدى بالمأمون بتنشيط العلماء، وأنشأ مكتبة في قرطبة تحتوى حوالي 400000 مجلد. اقتدى الرجال بدين ملوكهم وتنافسوا في اقتناء الكتب، وقيل أن غرناطة كان عدد المكاتب العمومية سبعين مكتبة._ولما نشبت الفتن، واشتعلت الحروب، فأهمل الناس المكتبات والمدارس، إلا أن مكتبة قرطبة مازالت في قصارها.

الدولة العثمانية تجمع شتات الشرق:

في القرن السابع للهجرة عرف كل من الشرق والغرب الإسلاميين، مصائب حيث انبسط المغول وترابعوا فمن الشرق من حدود الصين إلى الفرات غربا والى البحر الأسود شمالا، ولم يتمكنوا من تلك المناطق إلا بعد أن هلك سكانها، وأندثر عمرانها، ومن الغرب من حدود فرنسا إلى شاطئ البحر. حيث تغلب الأسبان ولم يبق للمسلمين حكومة غير دولة بني الأحمر في غرناطة.

أما الشرق الأدنى والمغرب الأقصى اللذان احتفظ بهما المسلمون كانوا أسوء حال، أمسى الشرق الأدنى خرابا بسبب الحملات الصليبية[1] والمغولية، أنا المغرب الأقصى فبات دار بين المرابطين، ثم الموحدين، فالمرينيين، في الشرق الأدنى كان يحكم أسيا الصغرى سلاجقة قونية، ومصر وسوريا للمماليك البحرية. كانت هاتان الدولتان من أهم الدول التي حافظت على استقلالها رغم الزحف المغولي والصليبي، لكن أمست في عهد الفوضى.

تفرق أبناء علاء الدين السلجوقي وتركوا المجال لدخول المغول مملكتهم. أما في المغرب الأقصى توفي بطل بني مري سلطان يعقوب وتنازع خلفاءه، وتلاشى أمر بني الأحمر في غرناطة.

بعد كل النكبات التي تعرض لها الشرق والغرب الإسلاميين، من أربعة أجيال والأوضاع المزرية والوضع السياسي السيئ، ظهرت الدولة العثمانية في السنة الأخيرة من القرنيين السابع للهجرة والثالث عشر للميلاد، وبسبب ضعف الأمم والدول كان لدولة العثمانية السيطرة. وعقب استقرار أمرها في الشرق غيرت وجهتها إلى الغرب، وارتفعت راياتها ثلاث مرات اتجاه أسوار فينا.

1- الحملات الصليبية: هي مصطلح يطلق حاليا على مجموعة من الحملات والحروب التي قام بها أوروبيون من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر. راجع: محمد سهيل قطوش، **تاريخ الحروب الصليبية**، دار النفائس، بيروت، 2011، ص 13.

والغربيون الذين استهانوا بالشرقيين، فقد تعرضوا لهم في عقر دارهم، لم تدم فترة طويلة حتى عاودا للخوف منهم، وصار خير الدين بربرس، أمير البحر في عهد السلطان سليمان القانوني له هيبة وكانوا يخوفون باسمه صغار أولادهم.

أساء الترك للعالم الإسلامي عموما، والعرب خصوصا، لأنهم كانوا سبب ضعف الخلافة العباسية التي كانت فجر الشرقيين بسبب التنازع المستمر فيها حول السلطة، وكفر العثمانيون عن سيئاتهم برفع شأن الشرقيين. ولو قلدوا العباسيين في اهتمامهم بالتمدن والعمران والسيف والفتح لاستطاعوا أن يحافظوا على ما استولوا عليه من عرش وملك. لكنهم للأسف حكموا أجيالا لم يضئ فيها حق الضياء إلا السيف، وبحكمهم العسكري الصرف قضوا على العناصر التي حكموها أن تستثمر في الجهل.

رابعا: ما الذي ساعد على فلاح العثمانية العوامل الداخلية:

كما كان لدولة العثمانية أسباب خارجية في تطورها وتقدمها هناك أسباب داخلية في أهل الدولة ومقرهم وشريعته.

<u>شريعة الدولة وتأثيرها في نجاح الإمبراطورية العثمانية:</u> للشريعة تأثير كبير على تطوير حياة الأفراد والجماعات، خاصة في العهود التي تقيد فيها الناس بأوامرها. فلما نشأت دولة أل عثمان كان الترك قريبي من اعتناق الإسلام، حيث كان الغرب وغيرهم من عناصر الإسلام لم تخمد جمرة الدين في نفوسهم، بتأثير الحضارة، وكانت تلك الشعلة تنتشر في أفئدة الترك وتدفعهم إلى تناول دور العرب في صدر الإسلام وتمثيله، فكان لشريعة ورجالها المفعول الكبير في مقدرات دولتهم.

كانت تركيا تلجأ إلى المفتى لطلب فتواه سواء في الحرب أو السلم أو النظام السياسي والقانون العسكري ومعاقبة الوزراء، كانت تفاوضه هو كبار العلماء قبل الفتوى. وكان للمفتي مقام سام في المملكة تحت نفوذه كل شيء لأنه هو نائب السلطان المطلق في الأمور الشرعية والمدنية معا. وأثر الإسلام على الإمبراطورية العثمانية وذلك من خلال قيام سياسة الدولة على أحكامه وكذلك تأثيره على أخلاق السلاطين وتطوير مناهج حكومتهم.

1- خصائص شريعة الدولة: قسمت الشريعة الإسلامية الناس إلى خمس طبقات: المسلم، الذمي، المستأمن، العهدي، والحربي. ومنحت لكل منهم حقوقا وفرضت عليهم واجبات. ولم تهمل الحربي من مثل تلك الأحكام.

العرب أهل الذمة: إن العدل وحسن المعاملة للفاتحين جعل الفتح العربي في صدر الإسلام[1]، أسرع فإن العرب وجدوا استقبالا حارا وفرح وسرور لأن العرب لم يعاملوهم كما عاملهم المسيحيون من قبل، ولما دعي المسلمون للاجتماع في اليرموك كانت حمص في ذمتهم فقد ردوا إلى أهلها ما كانوا أخذوه منهم من الجزية، وقد أثر عدل العرب في مصر حتى جعل أهلها يختارون لغة الفاتحين ودينهم. وبانتشار خبر عدلهم رغبت إسبانيا في بلادهم.

واستمر أهل الذمة على دواوين الحكومية ففي سوريا يكتبون بالرومية، وفي مصر بالقبطية. ولم جعل عبد الملك بن مروان العربية لغة الدواوين أضاعوا مكانتهم في الحكومة، إلا أنهم إحتفظوا بحريتهم الدينية وحقوقهم الاجتماعية.

وامتاز العباسيون في إكرام أهل الذمة وتجاوز تسامحهم وتغاضى العلماء والخلفاء عن انتقاد العبرانيين والسطوريين والنصارى الانتقاد المر على الشريعة المحمدية. ومن أهم أصناف العباسيين نذكر المنصور وهارون الرشيد، المأمون، والمهتدي بن الواثق.

2- عهد الفترة : عرف عهد الفترة حين غلب تيار الأعاجم ولا سيما المغول والترك على المدينة العربية واستأصلوا دول العرب من أصورها، حيث أن أهل الذمة البداوة جعلوا ديار الإسلام ميادين حرب دائمة، وأطمعوا بها الأجانب وقضوا على ما بقي فيها من مدينة وعمران. وقد صار حال الرعية أسوء في هذه الظروف. ومن أسباب الحروب الصليبية هي سيطرة العرب الرحيمة على أسيا وتغلب حكم الترك الحربيين المتعصبين، فزادت تلك الحروب وما تخللها من حوادث البغضاء بين المسلمين.

3- أل عثمان وأهل الذمة: لما استقر الأمر لأل عثمان، اتخذوا طريقة أسلافهم الأعاجم الخشنة في الحكم والفتح، كانوا إذا نزلوا للقتال يخيرون الخصم بين الإسلام والجزية والعدل.

<u>السلاطين الفاتحون وتأثير شخصيتهم في نجاح الدولة:</u> فالترك كانوا على ما كان عليه العرب لما انتشر الإسلام، لذلك كان تأثيره في الأمتين متشابها، فبعد إسلام العرب انقلبت الخشونة والتباغض والجهل والاستبداد إلى لين وألفة، وعلم، وإنصاف. ذلك ليس من فضل الإسلام فقط، بل لأن الأمم التي تكون

1- صدر الإسلام: هو مصطلح يستخدم لدلالة على السنوات الأولى للإسلام وتشمل تلك الفترة الممتدة بين بعثة رسول الله محمد إلى أخر أيام الخلفاء الراشدين وانتهت في حدود نهاية العقد الرابع هجري. مقتبس من موقع: "مكانة الشاعر في العصر الجاهلي"، www .alukah net.، اطّلع عليه بتاريخ 13-06-2020.

على الفطرة تصير شديدة التقيد بأوامر الدين، فكان تأثير الإسلام في الترك كبيرا من حيث المجموع أما تأثيره الفردي فهو ظاهر في سير ملوكهم. لأن معظم سلاطين أل عثمان كانوا على فضائل كبرى، ما أدى بهم للبسط والملك وطول مدة الحكم. فالسلطان كان هو الدولة وإرادته هي القوة المسيرة لها، ويتوقف عليه نجاحها أو انحطاطها، ولحسن صفات أل عثمان ساعد ذلك على سرعة الفتح.

الإحسان والتقوى: لما ضعفت شوكة العرب بالحضارة والترفه، حل محلهم عشائر الترك القريبة لعهد الإسلام، وأخذت على عاتقها أن تكون البطلة في الدفاع عنه ونشره. وأظهر العثمانيون صفات التقوى والقناعة والإحسان، وقد تجلى ذلك منذ أن شرع عثمان الأول في تأسيس دولتهم. وفضلا عن ذلك عمل عثمان بالإحسان إلى الفقراء وتقريب العلماء وإنشاء مجامع ومدارس وحياة عثمان فكانت كالزهاد في التقشف، أما أورخان لما أنشأ فرقة الإنكشارية.[1] فسار إلى أماسيا ليطلب من الزاهد الشيخ بكطاش الدعاء لها، وأما السلطان مراد الأول فكان مكرسا نفسه لنشر الدين وكان يحترم العلماء. وكذلك كان با يزيد يلديرم من الإصغاء لنصائح العلماء وانكف عن اللهو، وقام بتعمير مسجدين جميلين في بورصة فلما استقر الأمر لسلطان محمد جلبي بدأ باستعمال أنية الفضة والذهب، وأولم ثلاثة أيام في قصره إلى الفقراء، واستعمل تلك الأواني، وهو أول العثمانين في ترتيب إرسال(الصرة) إلى شريف مكة لتنفق على فقراء الحرمين.

وأتهم محمد الفاتح بضعف العقدة والأرجح أن هذه التهمة صحيحة عن خطة أسلافه من إكرام رجال الدين وتشييد المساجد. أما السلطان سليمان القانوني فقيل أنه ندم في أخر حياته فأهمل الحرير ومحا أثار الحانات، إلا أن معظم خلفائه تمادوا في اللهو، فعملوا على إسقاط دولتهم بأخلاقهم مثلما عمل من سلفه على رفع شأنها بفضائلهم.

الرحمة والحلم: ولدت بأنفس أل عثمان فضائل الشفقة والعفو عند المقدرة كمكارم الأخلاق. وأوردنا أمثلة عن سيرتهم في الحروب ومعاملتهم المغلوبين وذلك من الواجبات الدينية التي طالما رعاها العرب قبلهم، وعفو الدولة مرات متوالية على علاء الدين وغيره، ومكان ذلك العفو إلا عن اعتماد كلي على النفس. وبمقابلة أعمال العثمانيين مع أعمال أعدائهم ظهرت أفضلية أل عثمان فساعدهم ذلك على امتداد سلطتهم.

1- فرقة الإنكشارية: هي قوات مشاة من النخبة بالجيش العثماني، شكلوا الحرس الخاص للسلطان العثماني، تأسست قوات الإنكشارية في عهد السلطان مراد الأول (1362-1389) وكان للإنكشارية تنظيم خاص بهم بثكنات العسكرية وشاراتهم وامتيازاتهم ورتبهم.

العلم وأهل العمران: لم يقتصر العثمانيين في نشر العلم، وتعزيز التمدن قد دامت دولتهم مدة طويلة ولم ينشؤا في مدينة حديثة فكان مثلهم كمثل ملوك الرعاة "هيكوس"، رغم أنهم لم يعملوا على إحياء حضارة قديمة إلا أن ذلك لم يمنع سلاطينهم من الاهتمام بالعلم وأهله، حيث نجد السلطان "اورخان"، ومراد الأول ومحمد الفاتح، وسليمان القانوني، قاموا بالواجب، وأن تاريخ أل عثمان يفتقدهم لأنهم باهتمامهم بالعلم أعدوا الرجال الذين عملوا على نجاح السلطنة. حيث نجد أن السلطان أورخان كان مهووس بالعمران اكتفى بالمناطق المفتوحة وقام بتعميرها، وباستقرار الحكم للسلطان محمد جلبي بعد كارثة تيمورلنك سار أورخان للعناية بالعلم والعمران، وأشتهر بين أفراده.

أما عهد مراد الثاني امتاز بالأدب والشعر، إلى أن حكم محمد الفاتح وأقام دولته على أنقاض الإمبراطورية البيزنطية. فاهتم محمد الفاتح بالأدب وأنشأ المدارس في القسطنطينية، كما كان شديد الحفاوة بأهل العلم. أما تتبه ياوز سليم، فكان شاعرا وله أثار بالتركية والفارسية والعربية، كان مصاحبا للعلماء، والأدباء ولم يضاهي محمد الفاتح في رفع شأن العلم والعلماء من سلاطين أل عثمان إلا سليمان القانوني الذي لم يبلغ منزله الفاتح العلمية لكنه لم يقتصر في خدمة العلم والإصلاح الدولي، وبالنظر لميل السلطان للشعر والموسيقى والطرب، إلتف حوله جمهور من الشعراء. لكن ماينتقدهم هو بقاء ذلك الاهتمام بالعلم والعلماء داخل منطقة ضيقة، فلهذا لم تقم لترك مدينة. وقد أهمل السلاطين خلفاء القانوني رعاية العلم وأهله، إلا أن الغرب كان قد تيقظ للنهضة ومرت الأجيال بلمح البصر حتى اتسع الفرق بين الشرق والغرب.

عنصر الدولة تأثيره في إنجاحها: كان أهل البادية أشد خطر على أرباب الحضارة، حيث أن الترك نشئو صبورين أشداء على تحمل المشاق ولقدمهم في البداوة، ولتفرق مواطنهم، ومسالكم الوعرة، وازدادوا قوة باستسلامهم إلى الحياة الجندية طيلة تاريخهم، وكانوا يضربون بهم المثل في القوة. وقيل إن فصيلة منهم تسمى الكيماك، كان إذا ولد للرجل منهم ولد ورباه ورعاه حتى يحتلم ثم يقدم له قوسا وسهما ويخرجه من منزله ويقول له اصنع لنفسك ويجعله بمنزلة الغريب الأجنبي.

كان الصين والفرس جيران الترك وكانوا يتخوفون منهم كثيرا، فبنى الصينيون السد الكبير، لارتقاء شرهم وكان إذا أرسل الصينيون تجريدة صينية إلى منازل الترك يكون عليها سلفا، حيث أن فرسان فارس كانوا يتخوفون من الترك ويضطرون لزحف وراء نهر سيحون، إلا أن هؤلاء الفرسان كانوا يبلون بلاء جيدا في قتال الرومان ولهم الشهرة في البسالة والإقدام. ولشدة تخوف الناس من الترك أطلقوا عليهم أسماء، رغم اختلاف الألفاظ إلا أن كل الكلمات تتحدد بالدلالة على الحذر

والتأذي منهم، وغريب في أمر أن العثمانيين أنفسهم في عهد الجمهورية الحالية وقبلها يقدسون اسم الترك وكانوا يرون في اسم الترك ما يرادف كلمة البربرية.[1]

كانت الصين تلقب ما وراء السد من الترك والمغول بنيوتشي فتحرف هذا اللقب عدة مرات حتى وصل العرب بيأجوج ومأجوج التي معناه الصغير او القزم. رغم الاختلاف حول أمر يأجوج ومأجوج إلا أن الثابت في الأمر أن العرب في صدر الإسلام امتنعوا عن التعرض لترك ولم يباشروا القتال إلى أن دفعتهم الظروف إلى ذلك فذاقوا الأمرين ولولا فطنة العرب لكان النصر حليف الترك، رغم أن الترك تغلبوا أخيرا إلا أنهم تركوا في نفوس الغاليين إعجابا شديدا بقوتهم ،فاضعف الترف العرب ولجئوا إلى الأتراك وجعلهم العباسيون عصبية الدولة وأجنادها .واظهر الأتراك خدمة الإسلام لم يظهرها احد، فأعجب بهم الشعراء ومدحوهم .

لم يستمروا كثيرا حتى تغلبوا بشجاعتهم على جميع العناصر الإسلامية في الشرق وجعلوا التاريخ الإسلامي منذ أواسط الدولة العباسية عبارة عن تاريخ الترك. اشتهرت عشيرة قابي خان وامرؤها أجداد آل عثمان، أثناء الحرب بين دولة مغول ودولة خوارزم بالشجاعة. وازدادت شهرتهم بينما كانوا يحاربون باسم سلاجقة قونية.

حفظ التاريخ للدولة الرومانية ذكرا مجيدا، مع أن الرومانيين أخذوا وقتا في الغزوات والفتوحات، وتمكنوا من إنشاء مملكة.تتجاوز مساحتها ثلاثة ملايين ميل مربع، أما العثمانيون فقد حفظ لهم التاريخ ذكروا مجدا فقد برزوا على الرومانيين في الفتوحات بعدد يقل عددهم وفي مدة قصيرة وخرجوا من بقايا الدولة السلجوقية فكانت مساحة العثمانيين أكبر بكثير من الرومان.

لما انهزم العثمانيون عند أسوار فينا 1529م بعدما كانت أملاكهم تمتد من بلاد فارس إلى المجر واستولوا على البلقان كلها وجعلوا البحر الأسود مملكة عثمانية واستولوا على ما كان الرومان في إفريقيا. ورغم فشل الترك فيها بعد ولما ألحق بجيشهم الانكشاري من الفساد، إلا أنهم لم يوفقون في الحفاظ على سمعة البسالة والشهرة العسكرية.

<u>الجند والدربة والعدد:</u> الشجاعة هي خير سلاح للكفاح، خاصة في العصور السابقة، لكنها مع ذلك لم تستطع أن تؤمن النصر الدائم وتميزوا بميزات أخرى مثل الجرأة في الحرب وأفضلية العدد.

1- البربرية: كلمة تطلق على إنسان غير متحضر أو بدائي وعادة ما يطلق على أساس التعميم القائم على الصورة النمطية الشاسعة. .2020-05-21 Retrieved "Berber"، Michael Brett .com ,britannica .www

ولما صارت السلطة في الشرق الأدنى إلى ملوك الأعاجم خاصة الترك لم يهملوا فن الحرب واهتموا بإعداد المماليك إلى الجندية وتنظيم فرقا . وكان أل عثمان في بداية أمرهم يحاربون مع من ينظم إليهم من المتطوعة، لكن السلطان عثمان شعر بعدم كفاءة ذلك ،فأنشأ فرقة الخيالة. توفى عثمان بعد أن فتح معظم ولايات بورصة فخلفه ابنه أورخان، وعين أخاه علاء الدين وزيرا، وهو من قام بإنشاء الجيش الإنكشاري، وقد ولو العثمانيون وجوههم إلى العالم المسيحي، وشرعوا في فتح البلاد، فأراد قره خليل أن يربي الغلمان تربية إسلامية ويعلمهم فنون القتال. فجندهم وسار بهم إلى الحاج بكطاش الذي سماهم الجند الجديد وهو أصل كلم الإنكشارية.

حيث وضع لهم قره خليل أنظمة وترتيبات لم يسبق لها مثيل حتى صار الحكم لسلطان مراد الأول. هذا الأخير اعتنى عناية خاصة بجيش الإنكشارية وتنظيمه. ويرجع له الفضل الأكبر في ما وصل إليه الإنكشارية، وقد وضع السلطان مراد قوانين لهم بأن يتزوجوا. كما منع أن يقبل في سلكهم غير غلمان الأجانب الذين يتربون التربية الخاصة. فحافظ خلفائه على خطته، حيث بلغ عدد الإنكشارية في عهد السلطان سليمان القانوني اثني عشر ألفا. ثم بدأ عددهم في تكاثر حتى حكم مراد الثالث لأنه سمح للناس بالانخراط في سلكهم. واستمروا في الزيادة حتى عهد السلطان محمود الثاني لم تتكل الدولة العثمانية على الإنكشارية فقط في عهد فتوحاتها بل كانت تتكل على الفرق الأخرى، التي كان يأتي بها الأمراء من الولايات ويعرف كل منها باسم.

في عهد با يزيد قامت الدولة العثمانية بتحديث أصول التعليم الجندي، وشرعت في تحسين جيشها، ولم يمر وقت طويل حتى صارت أرقى الدول الشرقية والغربية في الفن العربي، حتى مماليك مصر وشجاعتها وشهرتهم والتدريب ولم يقووا على الوقوف أمام تيارها. أما أوروبا فإن فن الحرب كان قد تلاشى فيها على أثر تلاشي المدينتين اليونانية والرومانية، وتستثني من ذلك الإمبراطورية البيزنطية لأن معظم جيشها كان متخلطا ومستأجرا.

أن فرنسا قد سبقت سواها بالإقتداء بتركيا من حيث إنشاء الجند الموظف، لكنه جاء متأخر العهد، وكان ذلك في فترة حكم محمد الفاتح، في ذلك الحين كان عهد الإمبراطورية العثمانية قد بلغ أمنيتها من المجد وبسطة الملك.

صارت الدول الأوروبية تقوم بإعداد الجيوش بعد فرنسا، وشرعت تتنافس فيها، إلا أن الجيش العثماني استمر على ميزته حتى في القرن السابع عشر، وظل قدوة أوروبا.

لم يتوقف العثمانيون بتنظيم الجيش فحسب، بل اشتهروا بميزة مبادرتهم في استعمال المعدات الحربية، ولما نشأت الدولة العثمانية، كان قد تم اختراع الأسلحة النارية، لم تكن معروفة في الشرق كما كان يندر استعمالها في الغرب، وسرعان ما اهتموا بالمدافع، وطلبوا من أوروبا. ويرجع إليها الفضل في انتصارات الدولة العثمانية في أوروبا وساعدتهم على الفتح.

أما في البحر ولعدم اهتمام العثمانيين بالتجارة، فإنهم تأخروا حتى بعد فتح القسطنطينية للتفكير بإيجاد أسطول لهم، وبعد ما قدمته القسطنطينية من رجال البحار، كفلت لها بعد وقت قصير بالحصول أيضا على السيادة في البحر. وبعد أن استولى العثمانيين على البندقية في عهد السلطان با يزيد الثاني، شرعوا في فتح جزر الأرخبيل، والجزر الغربية اليونانية فأصبح العالم يحسب لها ألف حساب وتخوفت منها أوروبا، فأصبح الأسطول العثماني يشكل خطر على جزر البحر المتوسط فتحالف كل من إمارة البابا والبندقية و إسبانيا والبرتغال ومالطة لكنهم لم يفرحوا وذلك يرجع إلى حنكة ودهاء خير الدين بربرس. ومنذ ذلك الوقت صارت سيادة البحر تتحول إلى أل عثمان حتى أصبح السلطان سليمان القانوني بلقب سلطان البرين والبحرين.

<u>دار الملك:</u>

مكانتها الأدبية: السبب الذي أدى باليونان إلى تشييد مدينة بيزنطة، أنهم توخوا نشر اللغة والمبادئ الهيلانية إلى بعيد وأن ما حبب إلى قسطنطين تشييد القسطنطينية على إنقاذ بيزنطة والانتقال إليها من روما وكان حرصهم على تأييد ونشر المسيحية فضلا عن حماية أتباعها من وثني الروم.

مركزها السياسي: كانت الغاية من تشييد القسطنطينية وما قبلها من المدن في ذلك المكان هو بالدرجة الأولى المنفعة السياسية، وكانت أوروبا في حروب مع الشرق، ولم يكن مكان أفضل من القسطنطينية بجعلها عاصمة لملوكها سواء الأقوياء، أو الضعفاء. فهي للفاتحين منطقة قريبة من أسيا للهجوم، وللضعفاء بمثابة حصن منيع في طرق المملكة.

حيث كان الفضل لكل من الرومان الشرقيين وخلفائهم البيزنطيين، فضلا على تسهيلها لهم السيادة على البحر المتوسط الذي كان محور التمدن، فمهدت لهم ليصبحوا أسياد البر والبحر ، بالإضافة الى ذلك سلمت القسطنطينية على أل عثمان مفاتيح البحر الأسود واستولوا عليه حتى صار بمثابة حوض عثماني لا أثر للأجنبي حوله.

موقعها الطبيعي ومقامها الاقتصادي: لو لم تتعدى أيدي البشر موقعها الطبيعي لكانت أجمل من باريس بالإضافة إلى جمال ومناعة البوسفور والدردنيل. وكانت مستودعا وسوقا كبرى للشرق والغرب باختصار هي مفتاح العالم. وبمثابة الباب التي يجب أن تخرج منه الحركات التجارية العظمى.

مطامع الدول فيها: مدينة مثل القسطنطينية فائقة في جمالها ومقامها الحربي والأدبي، وممتازة في مكانتها السياسية والاقتصادية لابد من أن تصبح هدف مطامع الفاتحين.

العرب والقسطنطينية: أورد المؤرخون أن العرب حاصرو القسطنطينية سبع مرات، ورغم اختلاف المؤرخين في تحديد عدد مرات حصار العرب للقسطنطينية إلا أن هذه الأخيرة بقيت على استقلالها.

الترك والقسطنطينية: إن الترك لم تغلبوا على ديار الإسلام ودخلوا القسطنطينية حالفهم الحظ وكانوا من الناجحين حيث تحرش الترك بدار السعادة بعد أن استولوا على الشرق الأدنى. ترك السلجوقيين في بسط النفوذ في القسطنطينية إلى الترك و ذلك بسبب الانشقاق العائلي. حيث أن العثمانيين منذ أن كانوا تحت سلطة سلجوقي قونية ولوا وجوههم نحو الإمبراطورية البيزنطية.

اتخذ العثمانيون عواصم متعددة من قره حصار إلى يكي شهر إلى بورصة ثم إلى ديمتوقة، كأنهم أرادوا قبل التعرض لعاصمة البيزنطيين يحاصروها. ثم انتقلوا إلى أدرنة، حاصر القسطنطينية كل من با يزيد ومراد الثاني ومحمد جلبي، ثم أخير السلطان محمد الذي لقب بالفاتح .

<u>فائدة القسطنطينية للعثمانيين</u>: أمنت القسطنطينية[1] للعثمانيين معسكر وسط بين القارات الثلاث أوروبا وأسيا وإفريقيا، حيث ساعدهم على امتداد الفتح بسهولة، فتسنى لهم حصار فينا ثلاث مرات، كما خلقت للعثمانيين مقاما بحريا، بعدما لم يكن لها باخرة، فباشروا ببناء الأساطيل بعد أن انتقلوا إليها، واتحدت معظم الأساطير في أوروبا للقضاء على الأسطول العثماني بقيادة أعظم أميرال بينهم أندريا دوريا ،لكن خير الدين بربرس انتصر عليهم وبالإضافة إلى إحرازه الشهرة أضاف بذلك لسلطان سليمان القانوني سيادة البحر مع سيادة البر. ومنذ ذلك الحين لم يعد لدولة العثمانية خصم عنيد في البحر المتوسط، وبسبب قوتها البرية والبحرية وامتلاكها القسطنطينية، استطاعت أن تجعل البحر الأسود حوض عثمانيا.

1- القسطنطينيّة حاليّاً هي مدينة إسطنبول أكبر مدن تركيا وأكبر موانئها، ومساحة المدينة القديمة فيها ما يقارب 23 كم2. ولم تخسر القسطنطينيّة مركزها بالرغم من نقل العاصمة لأنقرة في عهد أتاتورك، أنظر: برناردين كلتي، **فتح القسطنطينية**، مكتبة النهضة، دار التضامن للتجارة والطباعة والنشر، بغداد، 1962، ص 05.

خامسا: ما الذي ساعد على فلاح العثمانية في أسيا وإفريقيا:

المساعدات الأسيوية:

خلفيات دولة قونية: رغم تخلص دولة قونية، من المعروفة سلاجقة الروم ،في أواخر أيامها، حتى انحصرت في الأناضول، إلا أنها لبثت منبسطة الحدود فيه لا يشاركها أحد إلا البيزنطيون في الشمال، ولأرمن في الشرق والجنوب. ولما قضى عليها تجزأت مملكتها إلى إمارات متعددة، حيث أن آل عثمان لم يتحرشوا بالحكومات الإسلامية المجاورة لهم واستمروا على نهجهم في عهد السلاجقة على مواصلة الفتح في بلاد الروم التابعين للإمبراطورية البيزنطية التي كانت في شمال أسيا الصغرى. فضموا صاروخان ومنشتا وقره خان لممالكهم،ولما استقر الأمر للسلطان محمد جلبي قهر كل من أمير القرمان، وقره حنيد، وفي عهد مراد الثالث تخلى له أمير قسطموني عن نصف أملاكه، واستعاد كل من ايدين وصاروخان ومنتشا وقره مان وكرميان. وعاد العثمانيون للإنفراد بالحكم في أسيا الصغرى في عهد محمد الفاتح.

الأمراء التكفوريون: إتخذت إمارة أل عثمان من غزو بورصة،[1] وأزمير وأزنيق وما بينهما من بلاد قاعدة لأعمالها، وذلك في عهد السلجوقيين، وكان ذلك على حدود الروم التكفوريين، حيث خير السلطان عثمان الأول أمراء التكفوريين بين ثلاثة الباقون إستعانوا بالمغول للقضاء عليه، لكن ذلك لم يجدي نفعا فإستولى السلطان عثمان على بورصة، وقره حصار، وأينه كول، ويار حصار.

لكن التكفوريين استمروا رغم الخطر العثماني ، ولما صار أورخان سلطان أكمل ما بدأ به أبوه من فتح مغتنما فرصة الحرب بين البيزنطين والسرب. فقد حافظ التكفوريون على مدينة الأشهر"فلادفيا"، ولما حكم با يزيد استولى على هذه المناطق كافة وقرض سلطان الروم في الأناضول الشمالي وحاصر الترك القسطنطينية.

دولة الأرمن الصغرى: لما قضى البيزنطيين والسلجوقيين على دولة الأرمن دخلت تحت حماية البابا وإمبراطور ألمانيا 1198م، واتخذت مدينة "سيس" عاصمة لها. ولما تغلب المسلمون على الصليبيين دفعت لهم الأرمن الجزية إلى أن تغلب المغول على المسلمين ودخلوا في طاعتهم وحاربوا معهم في غزواتهم على الشام وذلك كان من بين الأسباب لزيادة العداوة بين المماليك ومصر وسورية،ولهذا

1- بورصة: هي مدينة تقع في تركيا، وتحديدا في شمال غرب الأناضول على طول ساحل بحر مرمرة، ويجاورها من الغرب.

السبب تراجع المغول عن سوريا وقام المماليك بالانتقام من الأرمن وغزوهم إلى أن تمكنوا من الإستلاء على الدولة الأرمينية 1348م. ويمكن القول أن دولة الأرمن ساعدت على اشتداد أل عثمان من حيث حمايتها من مماليك مصر.

المساعدات الإفريقية التي عملت على إنجاح أل عثمان:

المماليك البحرية: تأسست دولة المماليك البحرية،[1] على أنقاض الدولة الأيوبية لمعز الدين التركماني، ومن أسباب نجاح أل عثمان هو قيام دولة الأرمن الصغرى في كيليكيا التي كانت بمثابة سور للعثمانيين حفظهم من المماليك في عهد تأسيسها، حيث نجد أن أعظم سلاطين مماليك البحرية، سقطوا عن العرش إما بالقتل أو الخلع، ولهذه الأسباب لم تؤثر دولة المماليك في شأن العثمانية وفسحت المجال أمام هذه الأخيرة للفتح والتوسع.

المماليك الجراكسة: قامت هذه الدولة سنة 1382م، وخلف الملك الظاهر ابنه الملك الناصر لكنه لم يقوى على لقاء تيمور لنك فتخلى له عن الشام، رغم ذلك إلا أن تيمورلنك لم يستخف بالمماليك ولم يتعقبهم إلى مصر لكنه اتجه لمواجهة السلطان با يزيد، وكان ذلك ممهدا السبل لاحتلال المماليك بلاده وذلك بعد رجوع المغول لكن بسبب الصلح الذي عقد بين تيمورلنك والمماليك صار يمنعهم من التعدي على ملوك الطوائف في الأناضول. وانتهى المماليك بالفتن الداخلية عن العثمانيين ورغم أنها كانت أقوى مملكة في الشرق وكانت مجاورة لأل عثمان، إلا أن مشاغلها حالت بينها وبين تركيا. حيث ضعفت دولة المماليك بسبب الانشقاق، وبذلك إكتسح السلطان سليم الأول العثماني الشام.

سادسا: ما الذي ساعد على نجاح العثمانية العوامل السياسية في العالم المسيحي:

تناول فيه محمد بيهم العوامل الخارجية عن طريق البحث عن المساعدات التي أحرزها آل عثمان أن كانت من العوامل السياسية في العالم المسيحي الأوربي، وما كان للانشقاق الكنسي في أوربا من اثر عظيم ونافع لتقوية السلطنة العثمانية.

سابعا: ما الذي ساعد على نجاح العثمانية: المساعدات الأخلاقية والروحية في أوربا:

1- دولة المماليك البحرية حكمت مصر قرابة قرنين ونصف من الزمان، ولقد كانت فترة حكمهم من 1250-1382م، حيث استطاع 23 سلطاناً من المماليك البحريّة حُكم مصر. راجع: ضياء نعمة محمد العبيرة (23-2-2017)، "العمارة في العصر المملوكي"،.www.edu.uobabylon.iq ، اطّلع عليه بتاريخ 15-06-2020. بتصرّف.

المساعدات السياسية في المماليك الأرثوذكسية:

-الإمبراطورية البيزنطية: إنقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية، وكانت الغربية تكاد تقترب من نهايتها، أما شقيقتها الشرقية المعروفة بالإمبراطورية البيزنطية تزهو وتزدهر، غير أن مشاحناتها الدينية أضعفتها ولولا قيام دولة الأيزورية 718م، لقضى عليها العرب.

رغم أن العرب لم يتمكنوا من قضاء عليها إلا أنهم تمكنوا من إحداث الانشقاق مدة قرن وثلث القرن في هذه الإمبراطورية. وإنتهى الأمر بقيام دولة أل عثمان لأن ميخائيل أل باليولوج بعد 57سنة استطاع أن يسترد من عرش القسطنطينية الأجزاء منها، ولم يستطيعوا استئصال الفتن الداخلية، الدينية والسياسية، وفي تلك الأثناء إنحلت سلطنة سلاجقة قونية وقام على أنقاضها إحدى عشر حكومة إحداهن تركيا. وصل العثمانيون إلى أدرنة سنة 1361م، وصار الترك في أوروبا، ووقع الإمبراطور البيزنطي حنا باليولوج الصلح مع السلطان إلا أنه لم يعقل عن مستقبل المظلم، ولا سيما لما وصله عن الانتصارات العثمانيين الباهرة على خصومهم في طرف الأوروبي، وتسنى لسلطان بيازيد بسط سيادته على الإمبراطورية البيزنطية بعد الصراع الداخلي بين يوحنا وولده أندرونيك على العرش. ونجاهم من أل عثمان إلا "تيمور لنك" الذي قضى على دولتهم.

ولولا انصراف السلطان مراد الثاني لقتال "هونياند" المجري و"إسكندر بك الألباني" لتسنى له دخول القسطنطينية، لكن لما أصبح الحكم لمحمد الفاتح، حقق الأمنية وأقام الإمبراطورية العثمانية على أنقاض الإمبراطورية البيزنطية 1453.

المساعدات السياسية في المماليك الكاثوليكية في أوروبا الشرقية:

مملكة بولونيا: إحتل المغول بلاد بولونيا بوليسلاس الخامس في القرن الثالث عشر، وحدثت فوضى بعد جلاء المغول بسبب التنازع على العرش فإنتهت بطرد ملك بولونيا ومبايعة ملك بوهيميا1300م وذلك في عهد ظهور دولة أل عثمان وبعد أن إستولى محمد الفاتح على القرم وإكتسح ملدافيا وأمسك سفراء بولونيا الذين جاؤوه مستضعفين وسجنهم نحو عام، وإشتبك جان البرت بن كزمير مع أل عثمان من أجل تحرير ملدافيا ولولا قساوة البرد لما رجعت جيوش بيازيد عن التوغل إلى بولونيا. وكان ذلك عبرة لهم رغم التقدم الذي بلغوه من تقدم مدني وعسكري إلا أنهم لم يعودوا للتحرش بأل عثمان، وإنما عادوا والسياسة التودد إليهم، في فترة حكم سليمان القانوني، ودخلت

بولونيا تحت حماية الدولة العثمانية، لكن بضعف أل عثمان أدى ذلك إلى ضياع قوتهم وتم تقسيمها بين روسيا وألمانيا والنمسا 1795م وظلت هكذا إلى أن حررتها الحرب العالمية.

المساعدات السياسية في المماليك الكاثوليكية في أوروبا الغربية:

كثيرا ما إستعانت الإمبراطورية البيزنطية بملوك الغرب، وببابوات روما على العثمانيين، فعرضوا عليهم مرات عدة ضم الكنيسة الأرثوذكسية إلى الكنيسة الكاثوليكية، ولما إستولى الترك على القسطنطينية قام البابا نقولا الخامس بجمع كافة الحكومات في إيطاليا من أجل الإتحاد لدفع العدو الجارف، وزيادة عن ذلك الدعوة لنشرها في كل أنحاء، إلا أن البابا نقولا جند جيشا.

وإنه لمن العجب كيف لأوروبا أن تضعف وتتخلف ولم تستطع الدفاع والوثوب وقد تم فتحها، وذلك لأنها في العصر الذهبي لم تكن مستعدة لهذة الحروب الدينية، إما سياسيا أو معنويا.

وهنا نود أن نوضح كي تسنى لتركيا أن تسيطر على أوروبا الشرقية، خلال تلك الظروف والأحوال، وما يمكن الإشارة إليه أن أوروبا الغربية لم تسمر على جمودها إزاء التوسع التركي، ولبت نداء البابا واتحدت عدة دول منها على قتال أل عثمان، لكن ذلك كان متأخرا وحدث بعد الفتح العثماني.

إستفادة أل عثمان من التباغض بين الكنيستي: في أثناء حدة الصراع بين الكنيستين الشرقية والغربية نشأت السلطنة العثمانية، وقفزت إلى جانب أوروبا، ولا سيما في عهد سلطان مراد صارت الدولة العثمانية، تلتهم الإمبراطورية البيزنطية قطعة قطعة، وما كان على البيزنطيين إلا خيارين إما أن الرضوخ وإما أن يقنعوا اللاتين بأن يمدوهم بالنجدات التي تدفع الخطر عنهم، ومن البديهي أن يختار الحكام الشق الثاني، بالإضافة إلى ما كانت عليه حالة أوروبا الروحية في عهد الفتح العثماني ذهبت كل المساعي لضم الكنيستين فلم يلبث محمد الفاتح أن استولى على عاصمة الإمبراطورية.

وإنشقاق الكنيستين لم يقتصر على إفادة تركيا في فتح الإمبراطورية البيزنطية فحسب، وإنما خدمتها مع كافة المماليك الأرثوذكسية، وساعدها كذلك في قتالها مع غيرها من الحكومات المجاورة.

خلاصة المساعدات المعنوية: كان من حسن حظ أل عثمان أنهم أنشئو دولتهم في أثناء انقلاب الأفكار وأتخذها بالتجديد في أوروبا، وبعد ضعف الكنيسة، توغلوا في الفتح من خلال الانشقاق الذي أصاب البابوية، تسنى لهم أن يسلموا من إتحاد أوروبا عليهم حيث أصيبت البابوية بمصائب أهمها الانشقاق وتعدد البابوات، وإستمر ذلك إلى غاية 1449م، وفات عليها قرن ونصف القرن وهي لا تفكر في غير إصلاح شؤونها، ومع ذلك فإن استفحال خطر أل عثمان وما حصل في أوروبا من ضجة

حينما دخلوا عاصمة البيزنطيين وقضوا عليهم، عمل المقام البابوي على أن يلتف حوله عدد من الدول لتأمر على الترك حيث تمكن من تجهيز نخو عشر حملات، لكن لم يعد ذلك يجدي نفعا بعدما بلغت الإمبراطورية العثمانية درجة من الرقي والازدهار والسلطان.

ثامنا: إلي أي حد بلغت عظمة أل عثمان: وفيه تطرق محمد بيهم إلى خلاصة تاريخ السلطنة العثمانية إلى غاية معاهدة كارلوفيس سنة 1699م، تناول خلالها عظمة السلطنة إلى غاية حكم السلطان سليمان القانوني، ثم يتناول عظمة السلطنة في عهد سليمان القانوني، ثم ويتطرق إلي بعض بقايا مظاهر العظمة بعد سليمان القانوني، وأيضا إبراز مظاهر العظمة في التقاليد والمعاملات الدولية والدبلوماسية.

2- استخلاص الجوانب العلمية والمنهجية لمحاور الكتاب.

ويستخلص من هذه الأقسام أن:

- الكاتب محمد جميل بيهم كان ملما كثيرا بجوانب من تاريخ الصين وجيرانها، كما يدل على اطلاعه لمختلف الآراء التاريخية محل الخلاف أو عدم الجزم بالمعلومة.

- تصورات وتحاليل المؤرخ اللبناني محمد بيهم أثرت فيها البيئة الثقافية والدينية التي ينتمي إليها محمد بيهم فخصوصيات المراحل التاريخية المعاصرة لنشأة الدولة اللبنانية، والمرجعيات النظرية والأيديولوجية للكتابة التاريخية قد أثرت فيه في بعض الأفكار. لان كثيرين كتبوا في لبنان وتناولوا موضوعات حضارية بنوع من الميول العقائدي فمثلا على سبيل المثال لا الحصر كتب عباس أبو صالح وسامي مكارم "التأريخ الدرزي" أيضا، ومحمد جميل بيهم "التاريخ السني"، وعلي الزين ومحمد جابر آل صفا "التاريخ الشيعي"....ومنه نستنتج أن الكتابة التاريخية في لبنان لم تكن بمعزل عن انقسامات طائفية وميولات إيديولوجية، فحتى ونحن ندرس كتابه "فلسفة التاريخ العثماني" لا ننسى البيئة التي كان يكتب فيها في ظل الاستعمار والانقسامات والاختلافات الطائفية والعقائدية.

- فرض اهتمام محمد بيهم عن الدولة العثمانية والتأريخ لأحداثها ومعرفة التطورات العامة بهذا الشكل التحليلي المميز انه واسع الاطلاع على مصادرها، التي تعتبر مادة أولية لبحوثه ودراساته حتى تمكن من الإلمام بجوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية...

- لم يربط محمد بيهم اهتمامه بتسجيل وتتبع سير الأحداث السياسية على حساب الظروف والأسباب الحقيقية والخفية، بل بحث وتمعن وحلل واستنتج لفهمها ومعرفتها.

لكن ذلك نظرية البطولة والأبطال والتأريخ للحاكم تحكمت قليلا في أهداف كتابته التاريخية، رغم ظهور اتجاهات المدارس التاريخية الحديثة في عهده التي فرضت الاهتمام بكل الفئات وبكل الأنشطة الإنسانية لكتابة التاريخ وتفسير أحداثه وصياغة مفاهيمه ومصطلحاته.

- كثير من أفكار محمد بيهم ساقتنا نحو الشعور بلمسته في الكتابة بموضوعية للأحداث والظواهر التي ميزت التاريخ الإسلامي في عصوره وأطواره، ما مكنه من الوصول إلى حقائق تحليلية جديدة عن تاريخ الدولة العثمانية من التأسيس إلى اعلي مرحلة قوة في حياتها.

- من خلال ما لا حضناه من محاور الكتاب ان محمد جميل بيهم كان محاولة منه لإعادة الاعتبار[1] لفترة العصور الإسلامية الوسطى وما يليها، والتي كانت عصورا مشرقة بدخول العثمانيين وضم المنطقة إلى الخلافة العثمانية مع بداية القرن 10هـ ويقابله بداية القرن 16م.

- كما أن الهدف المنهجي والعلمي من دراسة هذا الكتاب أن ما كتب محمد بجميل بيهم بإمكانه أن ينقد وتعاد صياغته بعضه، ويمكننا التخلي عن العواطف والتمجيد لإعادة تحليل أفكار هذا الكتاب عن جانب من التاريخ الإسلامي واكتشاف مصادر ونصوص جديدة تمكننا من دراسته بموضوعية إيجابية" .فقيمة أي تأريخ إسلامي كمصدر تاريخي يقررها قدمه، وقربه من الحوادث التي يصفها، أو استخدامه لكتب قديمة مفقودة، أو قريبة من المعاصرة".[2] وبالأخص علم المناهج المعاصر الذي افرز قواعد ونظريات خاصة في فلسفة التاريخ.

1- محمد حواش، **"ملاحظات واجتهادات حول مسألة التحقيب في التاريخ العربي"، التحقيب التقليد- القطيعة- السيرورة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط، 1997، ص 105.

2- رانز روزنتال، **علم التاريخ عند المسلمين**، تر: صالح محمد العلي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 14.

المبحث الثالث: تقييم الكتاب ومقارنته ببعض المواضيع المشابهة.

1/- نقد وتقييم مواضيع وأفكار نصوص المؤلف محمد جميل بيهم.

2/- مقارنة بعض مواضيع كتاب فلسفة التاريخ العثماني مع كتاب تاريخ الدولة العثمانية للمؤلف يلماز اوزتونا وكتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامي.

المبحث الثالث: تقييم الكتاب ومقارنته ببعض المواضيع المشابهة:

1- نقد وتقييم مواضيع وأفكار نصوص المؤلف محمد جميل بيهم:

أ/- يعتبر محمد جميل بيهم مؤرخا، وكاتب وباحث اجتماعي، أديب، وسياسي له نظرة استشرافية وتفاؤلية للنهضة بالدول العربية والإسلامية وإعادة أمجاد ماضي عظمة الأمة، فعمل بدار المدار الإسلامي من أجل استقلال سوريا ولبنان، ودافع عن عروبة فلسطين، ودعا إلى تحرير المرأة، سافر إلى أقطار كثيرة من العالم، فزار الأقطار الأوروبية مرارا كما زار الهند سنة 1951م، والإتحاد السوفيتي، وأذربيجان، والصين سنة 1957م، وحصل خلال رحلاته الكثير من المعلومات التاريخية والجغرافية والاجتماعية، وكان من أثر زياراته إلى أوروبا على الأخص بين سنتي 1911، 1913م وإطلاعه على ما تتمتع به المرأة في الغرب من حرية، وما تقوم به من مساهمة في العمل الاجتماعي في بلادها، أن استوحى فكرة الدعوة لتحرير المرأة العربية منذ مطلع القرن العشرين، وألف في هذا أربع كتب.

ب/- أصدر محمد بيهم كتابه فلسفة التاريخ العثماني الجزء الأول سنة 1925م والجزء الثاني سنة 1945م، الذي يعتبر من أفضل ما كتب عن أسباب نجاح السلطنة العثمانية وأسباب سقوطها، والجدير بالذكر أنه "هذا الكتاب" تناول سيرة سلاطين أل عثمان وأعمالهم السياسية والعسكرية بأسلوب موضوعي، بحيث جاء هذا الكتاب بدارسة تحليلية للعهد العثماني من بدايته حتى نهايته دون أن تشوبها شائبة من جموع العاطفة الشخصية، فالمؤلف انتقد ما يجب انتقاده برصانة العالم المدقق ولم يبخل على سلاطين الأتراك في إظهار مزاياهم عندما كانت هذه المزايا تلوح له في ثنايا تاريخهم العريق. ومن هؤلاء ثنائه على السلطان سليمان القانوني وعصره:

فأبوه السلطان سليم كان طموحا لتوسيع سلطنته ففي إحدى المرات نظر لخريطة الأرض فاستصغرها قالا "هل تسع هذه الأرض أكثر من ملك واحد"، ولما خلفه ولده سليمان القانوني.[1] ورث مطامعه أيضا في تدويخ العالم، ولكنه اكتفى من الشرق لما حصل عليه من والده، وعاد لخطة أجداده وهي اكتساح الغرب، ودخل بلغراد وما حولها من البلاد التي تعتبر باب المجر (937هـ-1521م).

1- سليمان القانوني: هو سليمان خان الأول بن سليم خان الأول (بالتركية العثمانية: سلطان سليمان اول)؛ (بالتركية: Evvel-Sultan Süleyman ا) (ميلاد: 6 نوفمبر 1494 بطرابزون، وفاة: 7 سبتمبر 1566 بسيكتوار)، عاشر السلاطين العثمانيين وخليفة المسلمين الثمانون، وثاني من حمل لقب "أمير المؤمنين" من آل عثمان. بلغت الدولة الإسلامية في عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت، أنظر: فريدون أمجاد، **السلطان سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين**، ترجمال فاروق، دار النيل، د.ت. ص 15.

فصارت السلطنة في عهده أعظم دولة في العالم، وأصبحت دار ملكها مرجع وملجأ معتمدي الممالك.[1] وأصبح عهده أيضا يمثل رأس هرم قوة الدولة العثمانية ومكانتها بين الدول، ويعتبر عصر سليمان القانوني ذهبيا للدولة، ومواهبه في العمران والتدبير والأدب والقانون..[2]، أن زادته مهارة وحسن إدارة حيث شهدت سنوات حكمه من 926-972هـ الموافق 1520-1566م توسعا عظيما لم يسبق له مثيل وأصبحت أقاليم الدولة العثمانية منتشرة في ثلاث أقاليم العالمية.[3]

- فتح بلغراد عاصمة الصرب 928هـ.
- أطلق على الوزير الأول لقب الصدر الأعظم 929هـ.
- فتح جزيرة رودس.
- تخلف على الخروج للحرب وإنجاز الإنكشارية للقتال بقيادة أحد زعمائهم.
- أخضع المجر سنة 932هـ.
- عقد حلفا مع الدول أوروبية(فرنسا).
- جعل مرتب وزيره الأول 25 ألف قرش بدلا من عشرة ألاف.
- حاصر فينا عاصمة النمسا 936هـ.
- منح الدول الامتيازات جملة سنة 924.

فعظم شأن السلطنة، وذعر الشرق والغرب منها. وأصبح عهد سليمان القانوني خير عهود سلاطين آل عثمان ازدهارا، وأوفرها آثارا للعظمة وذلك لما أصاب الإمبراطورية العثمانية بعده من الأخذ بالضعف، عده المؤرخون منتهى الارتقاء العثماني ومبدأ انحطاطه.[4]

وهكذا تسنى للإمبراطورية العثمانية،[5] في حكم سليمان القانوني أن تطمع بين السياديتين البرية والبحرية، وبين السلطتين السياسية والروحية، وبلغت حدود السلطنة في حكمها نهري الطونة

1- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، الملرجع السابق**، ص281.

2- محمد جميل بيهم، **أوليات سلاطين تركيا**، مطبعة العرفان، صيدا، 1351، ص20، 21.

3- علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار التوزيع والنشر الإسلامي، ط1، 2001، ص202.

4- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**، ص271.

5- الإمبراطورية العثمانية: هي إمبراطورية شاسعة حكمت جزء كبير من الشرق الأوسط و أوروبا الشرقية لأكثر من 600 سنة. تشكلت لأول مرة في عام 1299، و تم حلها في عام 1923، لتصبح البلاد إسمها (تركيا)، أنظر: محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح إحسان حقي، دار النفائس، ص10، 2006، ص 115.

وصاروا شمالا ونبع النيل والمحيط الهندي جنوبا، وسلسلة جبال القفقاس شرقا، وسلسلة جبال الأطلس غربا، بما تزيد مساحتها على 400 ألف ميل مربع، تقسم إدارتها إلى 250 سنجقا و 21 أيالة.

وأما في البحر فكان بحوزة الأسطول العثماني عدد يتراوح مابين 300 و 400 مركب حربي.[1]

وكان قيام السلطان سليمان القانوني وهو لا يزال في أوائل سلطته برفع راية الجهاد ضد بلغراد ورودس اللتين شاء جده السلطان الفاتح يوما الاستيلاء عليها ولم يفلح، وإنما كان إشارة إلى بداية نشاط عظيم في البحر فضلا عن العمليات البرية التي كانت موجهة لأوروبا الوسطى.[2]

ونجاح تركيا الحربي والسياسي رفعه إلى رتبة سامية شخصت إليها الأمم بأعين الهيبة والوقار، وجعلتها تلقي من على سائر الدول نظرات الاستهتار، فقط اجتمعت أوروبا على تلقيب امبرطورية آل عثمان في مرسلاتهم بالسيد الأعظم.[3]

ت/- كما نجد أن الكتاب ليس فيه تفصيل للتاريخ العثماني، بل ربما عن غيرها من الدول أكثر مما تحدث عنها: لأنه أراد أن يبين أحوال العالم وقت نشوء الدولة العثمانية، وكيف ساعدت هذه الأحوال والاضطرابات على نشوئها وثباتها أما الاهتزازات التي تعترض الدول في ابتدائها. فهو تحدث عن الترك قبل الإسلام وبعد الإسلام حين ظهور العثمانيين

ثم تحدث عن العوامل الداخلية والسياسية والدينية التي ساعدت العثمانيين على إنشاء دولتهم. ومن هذه العوامل التي يستنبط منها قيام أعظم خلافة إسلامية على سبيل المثال:

- شرائع الدولة: ومالهم من تأثيرهم على تطوير حياة الأفراد والجماعات ولا سيما في العهود التي تقيد الناس بأوامرها جدا لتقيد. وليستدل انه لما نشأت دولة أل عثمان كان الترك اجمالا قريبي العهد من اعتناق الإسلام، وبينما كانت جذوة الدينية تخمد في نفوس العرب وغيرهم من عناصر الإسلام بتأثير الحضارة، كانت تلك الشعلة تضطرم في أفئدة الترك وتدفعهم إلى تناول دور العرب ف صدر الإسلام والمبادرة إلى تمثيله، لذلك ولما درج عليه أل عثمان من التمسك بالشريعة في عهد الفتح، ومن تكريم خدمتها وتعزيزهم، كان لهذه الشريعة ولرجالها المفعول الكبير مقدرات دولتهم.

1- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**، ص 280، 281.

2- أكمل الدين إحسان أغلو، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، إستانبول، 1999، ص26.

3- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**، ص291.

- أيضا سلاطين دولة: أل عثمان، وبالاخص الاوائل منهم الذين كانوا على فضائل كبرى، ولذلك تسنى لهم ما لا يتسنى لسواهم من الترك في بسط الملك وامتداد أجله. فكان السلطان حكومة مطلقة وهو الدولة لان إرادته هي القوة السببية لها، وكان لذلك يتوقف على فلاحها أو انحطاطها.[1]

- نشوء الترك على تحمل المشاق لعراقيتهم في البداوة، ولتشعث مواطنهم ووعرة المسالك فيها، ما زادهم بأسا باستسلامهم لحياة الجندية طيلة تاريخهم، ولاتخاذهم القوة بمثابة المثل الأعلى لهم. فمنذ بداية حكم أل عثمان وقبيلتهم أجناد يحاربون مع من ينضم إليهم من المتطوعة، فلم يلبث مثلا السلطان عثمان الأول إلا وان شعر أنشأ فرقة خيالة "أقنجي"،[2] فكانوا يتدربون على الحركات العسكرية. كما لم يتفوق العثمانيون بتنظيم الجيوش فحسب، بل امتازوا في صدر دولتهم بمبادرتهم لاستعمال المعدات الحربية النارية منها، مساعدة لتحقيق الانتصار، فمنذ نشأت الدولة العثمانية كان اختراع أسلحة خفيفة نارية " التفنك والطبنجة"، ثم طوروا الأسلحة السلاطين واهتموا بالمدافع.[3]

ما ساعد آل عثمان ابيضا هو اتخاذهم عواصم متعددة لهم من "قره" إلى "أسكي" شهر(699هـ-1299م) ثم منها إلى "بورصة" (726هـ-1325م)، ثم منها إلى "درمقونة" (763هـ-1361م) إلى "أدرنة" (763هـ-1361م)، ثم آخذو يحاولون الاستيلاء على القسطنطينية، فحاصرها عدد من السلاطين منهم "با يزيد يليدرم"[4] ثم الأمير "موسى"، ثم "مراد الثاني"، وأخيرا السلطان محمد (875هـ-

1- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**، ص 108، 128.

2- أقنجي: مآقنجي (بالتركية: Akıncı) والجمع "آقنجيلار" (بالتركية: Akıncılar)، هي وحدات سلاح الفرسان الخفيفة في التنظيم العسكري للإمبراطورية العثمانية في المناطق الحدودية، والغارات على دول العدو في شكل حروب استنزاف لإضعاف العدو إلى الانهيار عن طريق إحداث الخسائر البشرية أو العسكرية. راجع: صابان سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية**، مكتبة الملك فهد الوطنية للمطبوعات،الرياض، 2000، ص 22.

3- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**، ص140.

4 - بيازيد يلدرم: صاعقةُ الإسلام سُلطانُ إقليم الرُّوم الغازي جلالُ الدين يلدرم بايزيد خان الأوَّل بن مُراد بن أورخان العُثماني (بالتُركيَّة العُثمانيَّة: صاعقه إسلام غازى سلطان إقليم الروم جلال الدين ييلدرم بايزيد خان أول بن مُراد بن اورخان عُثمانى؛ وبالتركيَة المعاصرة: uddin Yıldırım Bayezid Han Ii Rum Celal-ı İklim-Sultan. ben Murad Gazi)، ويُعرف اختصارا باسم با يزيد الأول أو يلدرم با يزيد (بالتركيَة العثمانية: ييلدرم بايزيد؛ وبالتركية المعاصرة: Yıldırım Bayezid)؛ و"يلدرم" كلمة تُركيَّة تعني البرق أو الصاعقة، وهو لقب أطلقهُ السُلطان مُراد الأوَّل على ابنه بايزيد لِسُرعة تحرُّكه وتنقُّله بِرفقة الجُند. راجع: أرمغان مصطفى، **التاريخ السري للإمبراطورية العثمانية، جوانب غير معروفة من حياة سلاطين بني عثمان**، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت، د.ت، ص 27.

1453م). الذي لقب بالفاتح إذ تم له ما لم يتم لسواه من دخلوا لها عنوة، وانتقل السلطان "محمد الفاتح"[1] إليها بحاشيته، فكانت له ولخلفائه من جملة أسباب العظمى في البر أو في البحر.[2]

- إضافة لحركة القبائل التركمانية بسبب الهجمات المغولية على وسط آسيا وهروب القبائل التركمانية نحو الغرب، ومنها قبيلة عثمان مؤسس الدولة التي سُميت باسمه، وكان على رأس تلك القبيلة في ذلك الوقت "سليمان شاه بن قيا ألب"، وقد توفى "سليمان شاه" قبل الرجوع لموطنه، فتفرقت القبيلة من بعده بين أبنائه ومنهم أرطغرل والد عثمان مؤسس الدولة.

- كذلك الاستقرار في ظل الدولة السلجوقية حيث نال أرطغرل ثقة الأمير علاء الدين السلجوقي، فأصبح يعتمد عليه ورجال قبيلته في الحروب مع الممالك والإمارات المجاورة، وفي مقابل هذا منح الأمير السلجوقي لأرطغرل أراضي شاسعة، ونظير وجود رجال القبيلة في مقدمة جيوش السلجوقيين.[3]

- استقلال القبيلة بعد هزيمة السلاجقة أمام المغول: فقد ظل عثمان وقبيلته تحت راية السلاجقة،[4] وسرعان ما تعرض السلاجقة لهجمات المغول، وتوفى الأمير علاء الدين،[5] وبذلك أتيحت الفرصة لعثمان الاستقلال وتأسيس دولته الخاصة، وأيضا الاستفادة من موقع القبيلة الجغرافي على الحدود مع الدولة البيزنطية الضعيفة في ذلك الوقت، واستجمع مختلف القبائل والقوى التركمانية المحملة بالمشاعر الإسلامية لفتح تلك الأراضي وإدخال الإسلام إليها.[6]

1- محمد الفاتح: وُلد محمّد الفاتح عام 1429م، لأبيه السلطان مراد الثاني، في مدينة أردنة التي كانت عاصمة الدولة العثمانيّة آنذاك، وعندما بلغ الحادية عشرة من عمره، بعثه والده إلى أماسيا ليحكمها في عهده، كما كانت العادة في الدولة العثمانية، أنظر: مصطفى صفوت، **السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية**، دار الفكر العربي، 1948، ص 12 13.

2- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ**، **المرجع السابق**، ص149.

3- محمد فريد بك المحامي، **المرجع السابق**، ص 52. بتصرّف.

4- **المرجع نفسه**، ص، 53.

5- علاء الدين السلجوقي: كَيقُبَاد الأول وهو علاء الدين كَيقُبَاد بن كيخسرو، (1188 م - 1237م) سلطان سلاجقة الروم في الفترة بين 1220 و1237م. وسّع علاء الدين كيقباد حدود السلطنة على حساب جيرانه وخصوصاً إمارات المنكوجكيين والأيوبيين كما دعم وجود السلاجقة في البحر المتوسط بعد سيطرته على ميناء ألانيا (أي: علائية) والذي سمي هكذا على اسم "علاء" فيما بعد تكريماً له، أنظر: محمد سهيل طقوش، **تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى**، دار النفائس، ط1، 2002، ص 241.

6-الدولة العثمانية التأسيس والبدايات"، www. islamstory، 16-5-2012، اطّلع عليه في 12-1-2018. بتصرّف.

ث/- تعظيم دور القسطنطينية في إعلاء دور السلطنة وشموخها بين الأمم: ويعود التاريخ بذلك الى مابين 1260-1320م حين تمكن زعماء الغزو من التركمان المقاتلين من تأسيس إمارات مستقلة في الأناضول.[1] من أراضي اقتطعوها من بيزنطة، ويسجل المؤرخ البيزنطي المعاصر الأحداث "باخيموس" أن سلالة "باليوغ" الحاكمة ،التي استردت القسطنطينية في عام 1261م، كانت منشغلة جدا بأحداث البلقان،[2] لدرجة أهمالها حدودها الآسيوية مما فتح الطرق أمام التركمان لاحتلال مناطق هنا وهناك. فالغزو أو الجهاد،[3] كان عاملا مهما في تأسيس الدولة العثمانية وتطورها، فكان مجتمع تلك الإمارات الحدودية ينسجم مع نموذج حضاري خاص، متشبع بمثال الجهاد الدائم لتوسيع دار الإسلام حتى تشمل العالم.[4]

1- الأناضول: أو آسيا الصغرى منطقة جغرافية وتاريخية قريبة من شرق أوروبا، حيث تشكل شبه جزيرة جبلية في غرب آسيا. وهي محصورة بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود، وتشمل جل الأراضي التركية، عدا القسم الشرقي المعروف تاريخياً باسم هضبة أرمينيا. حيث تقدر مساحة الأناضول بحوالي 500.000 كم.2 ويحيط بها كل من بحر إيجة ومرمرة، والبحر الأسود شمالاً، وسوريا جنوباً، وتواجدت العديد من الحضارات في الأناضول منها الحيثين والأرمن والإغريق والرومان والبيزنطيين وسلاجقة الروم والعثمانيين.

2- البلقان أو شبه جزيرة البلقان، منطقة ثقافية وجغرافية بالجزء الجنوبي لأوروبا، شرق شبه الجزيرة الإيطالية، وفي الغرب أو الشمال الغربي من منطقة الأناضول. تُعرف أيضاً في مصادر بمنطقة جنوب شرق أوروبا. تستمد اسمها من سلسلة جبال البلقان الممتدة من الغرب إلى الشرق، وتقسم بلغاريا إلى قسمين. وكلمة البلقان التي أطلقت على سلسلة الجبال أصبحت بعد ذلك تُطلق على كل هذه المنطقة فيما بعد. وكلمة البلقان في جميع اللغات. أنظر: يوسف البستاني، **تاريخ حرب البلقان الأولى بين الدولة العلية والإتحاد البلقاني**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافية، د.ت، ص25.

3- الجهاد لغة مأخوذ من الْجَهْد أو الْجُهْد، وهو بذل الوسع، والعمل ببذل الطاقة. أما تعريفه الاصطلاحي: إذا أطلق في الغالب ينصرف إلى جهاد الكفار وقتالهم، من المعاندين، والمحاربين، والمرتدين، والبغاة، ونحوهم، ومقصوده إعلاء كلمة الله -عز وجل-، وهذا هو المعنى الخاص للجهاد، أنظر: محمود محمد أحمد، **تطور مفهوم الجهاد دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت القاهرة، دار البيضاء، ط1، 2015، ص29..

أما المعنى العام فكما عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "هُوَ بَذْلُ الْوُسْعِ وَهُوَ الْقُدْرَةُ فِي حُصُولِ مَحْبُوبِ الْحَقِّ". ويقول ابن القيم -رحمه الله-: "وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ جِنْسَ الْجِهَادِ فَرْضُ عَيْنٍ إمَّا بِالْقَلْبِ، وَإِمَّا بِاللِّسَانِ، وَإِمَّا بِالْمَالِ، وَإِمَّا بِالْيَدِ، فَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُجَاهِدَ بِنَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ". فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع، بالقلب، باللسان، بالمال، باليد، ونقول في عصرنا الحاضر: وبالقلم أيضا.

4 - خليل إينالجيك، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، دار المدار للإسلامي، ط1، 2002، ص 15.

لكن الأنظار كانت دوما منصبة على القسطنطينية التي كانت جوهرة ثمينة متهدلة على نحر المجد شاخصة إليها الأنظار ، مثل عاصمة البيزنطيين في نظر الأمم، ولذلك فان كل دولة تحس من نفسها القوة تهب لاغتياله،ولكم حاول الطامعون ذلك عبثا ماعدا الترك فإنهم لما تغلبوا على ديار الإسلام، ومنوا النفس كسواهم بدار آل قسطنطين خدمهم الحظ، وكانوا من الناجحين، تحرش الترك بدار السعادة -كما سموها- منذ بسطو نفوذهم على الشرق الأدنى.[1]

ففتح عاصمة الإمبراطورية البيزنطية كان هدفا دائما للمسلمين منذ أيام معاوية بن أبي سفيان، لكن محاولاتهم المتكررة لفتحها باءت بالفشل بفضل موقع المدينة وقوة الامبرطورية، وعندما قامت الدولة العثمانية ونمت قوتها ،كان فتح القسطنطينية وتحويل الدولة المحلية إلى دولة ذات توجه عالمي، حلما يراود السلاطين العثمانيين منذ عهد با يزيد الأول.[2]

ح/- الكتاب جيد ويعطي صورا إجمالية عن حال العالم وقت إنشاء الدولة العثمانية وعن الأسباب الداخلية والخارجية التي بعثت قبيلة مغمورة إلى صدارة العالم وحكم مساحات كبيرة في قلب العالم القديم، فاستطاعت ان تقود العالم الإسلامي في الحفاظ على أمنه وصون كرامة مواطنيه.

2- مقارنة بعض مواضيع كتاب فلسفة التاريخ العثماني لمحمد بيهم مع كتاب تاريخ الدولة العثمانية ليلماز اوزتونا وتاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامي:

أ/- المقارنة من خلال التطرق إلى تاريخ الترك قبل الإسلام: يرى محمد جميل بيهم أن منازل الترك توسطت بين الصين وفارس، اللتين رغم تواصلهما مع الترك، بالحروب تارة وبالمعاهدات طورا، فانه يرى أن أقوال المؤرخين قد تضاربت فيما بينهم، فالمسلمون منهم جروا على حسب عادتهم في تسلسل الأمم من نوح وبنيه فأرجعوهم إلى يافث، وزاد الترك البوذيون على ذلك النسب قصة العذراء المستعارة من مذهبهم، وجاء في التقسيم القديم الاثنولوجي أنهم من جملة القبائل القوقاسية: لأن عدة قبائل منهم تشبه كل الشبه أو بعضه أمم القوقاس في الأخلاق الطبيعية.

1- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**، ص 162.

2- محمد سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة للانقلاب على الخلافة**، دار النفائس، 2013، ص102.

أما الدين فكان سطحيا، ولاسيما عند "القبجاق" في الشمال، غير أن المتماسين مع أهل الأديان، مجاوري الصين وفارس، تغلبت عليهم مذاهب جيرانهم. وديانات دول مجاورة للترك كجيران الصين، وجيران فارس، ودخول النصرانية والبوذية لديار الترك، فالملاحظ انه تطرق إليها بالتفصيل.[1]

على عكس المؤرخ التركي يلماز اوزتونا: الذي يرى أن الأتراك القدامى يدينون بدين كوك تنرى، وباللغة التركيز القديمة كوك تنكرى، إلا أننا نجد الشامانية لدى القبائل التركية التي ابتعدت كثيرا وبقيت في سيبيريا وظلت تحت تأثير مغل شامان. وان ديانة "كوك تنرى" ليس لها نبي، ولا كتاب مقدس، ولا معبد ولا عبادة منظمة، لها معبود واحد "تك تنكرى"، وهو رب الأتراك فقط وليس ربا للعالمين كإله المسلمين. فالسماء والأرض والماء مقدسة، يدفن الموتى، يمكن تحنيطهم، تدفن معهم كذلك حاجياتهم الضرورية لاستعمالها في الدار الأخرى.

ب/- المقارنة في طريقة إسلام الترك: يرى محمد جميل بيهم أن الترك في زمن الفتح العربي كانوا على أديان مختلفة: فمنهم مزديون مجوس ومنهم نصارى، تنصروا بما كان لهم من العلائق مع أساقفة خرسان ومابين النهرين، وثلاثة أرباعهم بوذيون.[2] ومع اكتساح العرب بلادهم تلقوهم على حالتين مختلفتين فنصارى الترك، اثر عليهم أساقفتهم السوريون الموالون للعرب الذين رأوا في أخلاق الفاتحين واعتقاداتهم شبها كثيرا لما لديهم منها، فلم يبدوا الخصام الفاتحين، وأما المجوس والبوذيون منهم فنفروا من المسلمين واتحدوا جميعا على مقاومتهم، وبعد فان الإسلام الذي كان هكذا بطيء السير في ديار الترك عهد الأمويين، كان أسرعه عهد العباسيين، ويرجع الفضل في ذلك أولا إلى الأعاجم الذين اسلموا فنشروا الإسلام أما بالفتح، أو في السياحات التجارية، وثانيا إلى سياسة العباسيين[3] في تجنيد الترك وإغداق الإكرام عليهم.[4]

1- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ**، **المرجع السابق**، ص09-15.

2- يلماز اوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: عدنان محمود سلمان، مرا: محمود الأنصاري، م1، منشورات مؤسسة فيصل لتمويل، اسطنبول، تركيا، 1988، ص17.

3- العباسيين: العباسيون أو الخلافة العباسية هو الاسم الذي يُطلق على ثالث خلافة إسلامية في التاريخ، وثاني السلالات الحاكمة الإسلامية. استطاع العباسيون أن يزيحوا بني أمية ويستفردوا بالخلافة، وقضوا على السلالة الحاكمة وطاردوا أبناءها حتى قضوا على أغلبهم، ولم ينج منهم إلا من لجأ للأندلس، وكان من ضمنهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، فاستولى على شبه الجزيرة الأيبيرية، وبقيت في عقبه لسنة 1029، أنظر: محمد سهيل طقوش، **تاريخ الدولة العباسية**، ط7، دار النفائس، بيروت، 2007، ص7.

4 - محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ**، **المرجع السابق**، ص 29- 30.

إن محمد جميل بيهم تطرق للأسباب التي أدت إلى إسلام الترك وشرحها شرحا مفصلا، حيث يرى أن الأعاجم الذين اسلموا هم السبب الرئيسي في نشر الإسلام .

في حين أن المؤرخ "يلماز اوزتونا" قد تطرق إلى السبب العسكري الذي أدى إلى إسلام الترك في قوله "...لفتت قيمة الأتراك كجنود أنظار العرب، وعند اضمحلال الحكم الأموي في خراسان، وانحاز الأتراك كالإيرانيين إلى الجانب العباسي، إذ أنهم كانوا قد نفروا من سياسة الأمويين والعنصرية ، أما العباسيون فقد عاملو المسلمين. كافة بالتساوي ولم يفرقوا بين عربي وغير عربي، جاء إلى بغداد أتراك كثيرون، وانضموا إلى جيش الخليفة الخاص كجنود أجراء. "[1]

ت- في موضوع انتقال الخلافة الإسلامية من العباسيين إلى بني عثمان: يرى محمد جميل بيهم أن الترك قد اساءو للعالم الإسلامي عموما والعرب خصوصا لأنهم كانوا الباعث الأساسي لتضعضع الخلافة العباسية التي هي فجر الشرقيين بمدنيتها بسبب تنازعهم المستمر فيها على السلطة حتى طمع بها المكتسحون، فالعثمانيون قد كفروا عن سيئة قومهم، برفع شأن الشرقيين أجيالا، ولو أنهم جروا مجرى العباسيين عبر الاهتمام بالتمدين والعمران وليس اهتمامهم بالسيف والفتح لاستطاعوا أن يحتفظوا للآن بما استولوا عليه من عرش وملك. ولقال العرب أنهم خير خلف لخير سلف، ولكنهم ويا للأسف حكموا أجيالا لم يضيء فيها حق الضياء إلا السيف.

ومن الملاحظ أن محمد جميل بيهم يرى أن الأتراك وبفضل حكمهم العسكري الصرف قضوا على العناصر التي حكموها أن تستمر في غسق الجهل في أثناء رأد الضحى.[2]

في حين أن المؤرخ يلماز اوزتونا يقول في كتابه تاريخ الدولة العثمانية:

"..ومن الروايات التاريخية الأخرى، أن المتوكل قلد السلطان سليم السيف والبسه الخلعة في جامع أيوب سلطان بعد مراسم آيا صوفيا، واشترك المراسم علماء الأزهر الذين جلبوا إلى استانبول وعلماء العثمانية وأن الخلافة انتقلت إلى بني عثمان بقرار هذا المجلس. وخلع "ياوز" بعد ذلك خلعته التي لا تقدر بثمن وألبسها الخطيب، ثم أمر بنقل الأمانات المقدسة الموجود في القاهرة ومكة إلى "سارى طوبقابو" في استانبول، وشيد جناح خرقة، شريف "البردة الشريفة" لحفظها، واكتملت صفة خلافة السلطان سليم بانتقال القدس، والمدينة المنورة ومكة المكرمة للإدارة العثمانية.[2]

1- يلماز اوزتونا، **المرجع السابق**، ص 45

2- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ**، **المرجع السابق**، ص105.

وهنا نلاحظ اختلاف آراء المؤلفين "محمد جميل بيهم" و"يلماز اوزتونا" حول انتقال الخلافة من العباسيين لبني عثمان. فيرى بيهم أن انتقال الخلافة كان بقوة السيف، وكان أمرا سيئا للمسلمين والعرب. أما يلماز اوزتونا فيرى أن انتقال الخلافة كان بالرضا وليس السيف، وكان أمرا جيدا.[1]

ث/ في مسالة المساعدات الإفريقية التي عملت على نجاح أل عثمان:

- المماليك البحرية: يقول جميل بيهم أنه كان للدولة العثمانية خطر في إفريقيا ألا وهو دولة المماليك العسكرية القومية. التي بدورها استطاعت إجلاء المغول من سوريا ودفعهم عن مصر كما أنها لم تعقل عن الأناضول بعد انقراض سلطنة سلاجقة قونية.

حيث أنه لم تقوى دولة المماليك الجراكسة التي عاصرت أل عثمان في عهد تأسيس إمبراطوريتهم ولا استطاعت دولة المماليك البحرية التي عاصرتهم في عهد نشأة سلطنتهم بعد كارثة "تيمورلنك" على أن تقف سدا في سبيل رقي أل عثمان.

وللسلطان الصالح نجم الدين أيوب فضل تكوين فرقة المماليك البحرية.[2] فالبحرية أقيمت على أنقاض الدولة الأيوبية "لمعز أيبك التركماني" أحد مماليك السلطان الصالح (648هـ- 1250م). وبعد الملك بني بيبرس تحول أل قلاوون منذ سنة 678هـ إلى 784هـ فكانوا المعاصرين للمؤسسين الأولين من أل عثمان، فلم يحولوا دون نجاحهم للأسباب التالية:

- قيام دولة الأرمن الصغرى في "كليكيا" كان سورا للعثمانية حفظها من المماليك في عهد تأسيسها.

- رغم أن المماليك تمكنوا من بلوغ حدود أل عثمان إلا أنهم لم يستطيعوا أن يهدموا ذلك السور إلا بعد أن أنهكت قوامهم أمامه، وتركوا مجالا فسيحا لاشتداد شأن العثمانيين.[3]

أما فريد بك المحامي فيرى: بأن قيام دولة المماليك فكان بعزل شجرة الدر.[4] وولى مكانها معز الدين أيبك التركماني، مملوك زوجها السلطان الصالح، وهو أول المماليك البحرية وتزوج بشجرة

1- يلماز أوزتونا، **المرجع السابق**، ص ص224 225.

2- سعيد عبد الفتاح عاشور، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، دار النهضة، لبنان، 2011، ص166.

3- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ**، **المرجع السابق**، ص195.

4شجرة الدر: (ت 1257) الملقبة بعصمة الدين أم خليل، خوارزمية الأصل. جارية اشتراها السلطان الصالح نجم الدين أيوب، أعتقها وتزوجها تولت عرش مصر لمدة ثمانين يوماً ثم تنازلت عنه. لعبت دوراً تاريخياً هاماً أثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر وخلال معركة المنصورة، السيوطي، **المصدر السابق**، ص 401.

الدر وبذلك انتهى ملك الأيوبيين بمصر. ثم قتل بإيعاز شجرة الدر في 22 ربيع الأول سنة 655 فلم يوليها المماليك بل ولو نور الدين علي بن المعز أيبك وحبسوا شجرة الدر ثم قتلوها في 16ربيع الأخير سنة 655، وكانت تركية وقيل أرمينية.[1]

حيث نجد أن محمد فريد بك تحدث بإيجاز عن سقوط الأيوبيين واعتلاء المماليك العرش إلا أنه كرر الكثير من الأحداث واستعمال الحشو على عكس محمد جميل بيهم.

حيث ذكر محمد جميل بيهم أن المماليك سقطوا عن العرش إما بالقتل أو بالخلع وكفى بذلك دليلا على الفوضى الداخلية التي كانت مستمرة فيها، تلك الفوضى التي لا تقوم معها حال حكومة، وهذه الأسباب لم تأثر دولة المماليك البحرية في شأن الدولة العثمانية، بل تركت لها المجال الفسيح في عهد أل قلاوون للتغلب والفتح.[2]

أما محمد فريد بك المحامي فقد ذكر كل الملوك الذين تم تعيينهم وعزلهم وقتلهم والفوضى الداخلية وشرحها بكل تفصيل على عكس محمد جميل بيهم كتب عنهم سطحيا.

- المماليك الجراكسة: يرى محمد جميل بيهم أنه ما الذي ساعد على نجاح العثمانية في إفريقيا هي المماليك الجراكسة. فالأتابكي برقوق كان وصيا على بني الملك الأشرف من المماليك البحرية، فلما مات أحدهما تأمر مع الخليفة على خلع الثاني، وتولى مكانه ملقبا بالظاهر سيف الدين، فكان ذلك مبدأ دولة المماليك الجراكسة(784-1382م).[3]

أما محمد فريد بك المحامي فيرى بأن بداية دولة المماليك الجراكسة كان يتولى السلطنة الأتابكي برقوق ولقب بالظاهر سيف الدين أبي سعيد، وبتوليه إنتهى ملك بني قلاوون بعد أن لبثت السلطنة في قلاوون وذريته مدة مائة سنة وثلاث سنوات، وابتدأت دولة مماليك الجراكسة.[4]

حيث نجد أن محمد جميل بيهم ذكر فقط كيف كانت بداية دولة مماليك الجراكسة، أما محمد فريد بك المحامي فقد تحدث بالتفصيل الممل كيف تم خلع الملوك وتعيين آخرين، وكيف كانت بداية دولة الجراكسة.

1- محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة، المرجع السابق**، ص 83.

2- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**، ص 196.

3 - محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**، ص196

4 - محمد فريد بك المحامي، **المرجع السابق**، ص89.

أيضا يقول محمد جميل بيهم أن الملك الظاهر(801هـ) خلف ابنه الملك الناصر فلم يقوى على لقاء "تيمور لنك" فتراجع له على بلاد الشام.[1]

أما محمد فريد بك المحامي فقال بأنه خلع الملك الظاهر برقوق في 5جمادى الثانية، وأعيد الملك الصالح أمير جاح أخبرني قلاوون ثانيا وتلقب بالمنصور، وبعد بضعة شهور عزل ثانيا في صفر 792هـ، وبقي محجوزا في دار الحريم إلى أن مات في 19 شوال سنة 814هـ، وعاد الملك الظاهر برقوق ودخل القاهرة في يوم الأربعاء 14 صفر سنة 801هـ. وتولى بعد ابنه الملك 'الناصر زين الدين أبو السعادات فرج'، وفي مدته وصل تيمورلنك إلى بلاد الشام وفتح حلب ودمشق وإرتكب فيهما هو وعسكره مالا يوصف من أنواع المظالم، وانتصر على السلطان با يزيد العثماني إبن مراد. ثم حصل خلاف بين السلطان والناصر وبعض أمرائه فاختفى سنة 808هـ، وولى أخوه الملك المنصور عز الدين أبو العز عبد العزيز وجلس على سرير الملك 26 ربيع الأول سنة 808هـ. وبعد شهرين ظهر أخوه الناصر واستولى على الإمارة ثانيا وقبض على أخيه المنصور عز الدين وسجنه في الحريم، وجلس هو على السرير في 04 جمادى الأخيرة سنة 808هـ.[2]

كذلك يذكر محمد جميل بيهم أن تيمورلنك لم يستخف بقوة المماليك لذلك لم يتعقبهم إلى مصر وإنما جرته المنافسة بينه وبين السلطان "ييلدرم با يزيد الثاني" إلى الزحف عليه. فكان إنتصار تيمورلنك عليه مؤذيا بملاشاة دولته، وممهد السبل لاحتلال المماليك بلاده ولاسيما بعد رجوع المغول عنها وذهاب تيمورلنك إلى سمرقند.[3] في حين نجد أن محمد فريد بك المحامي تحدث بإيجاز عن المماليك وتيمورلنك والدولة العثمانية على عكس محمد جميل بيهم.

ايضا يذكر بهم ان الفتن الفتن الداخلية ألهت المماليك عن الدولة العثمانية في عهد نشأتها الثانية بعد الكارثة التيمورلنكية. فكان يتغلب منهم كل حين مملوك حديث حتى بلغ عدد المالكين منهم سبعة في مدة 23 سنة، منذ المملوك برقوق إلى وفاة السلطان محمد جلبي الذي أعاد السلطنة العثمانية وعزز شأنها (824هـ/1421م).[4] إلا أن محمد فريد بك المحامي فقد ذكر عكس محمد جميل

1- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**، ص 196.

2- محمد فريد بك المحامي، **المرجع السابق**، ص90.

3- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**، ص197.

4- **المرجع نفسه**، ص 197.

بهم أنه بلغ عدد السنوات خمس وعشرون سنة تولى السلطنة خمس سلاطين وهم المؤيد أحمد بن إينال، والظاهر خوشقدم، والظاهر بلباي، والظاهر تمربغا، والأشرف قايتباي.[1]

ح- مقارنة في العلاقة بين بايزيد يلديرم وتيمور لنك:

أسس تيمور بك الكبير خاقان أتراك الشرق "تركستان"، إمبراطورية عظمى تمتلك اقدر جيش ودولة في العالم تمتد من الصين لمصر، وكان "يلدرم بايزيد" قد اثبت خاصة بعد انتصاره في نيغبولو - لأوروبا المتحالفة ،انه يملك دولة كبرى وجيشا عظيما، وانه المقتدر الثاني في العالم بعد تيمور.

فيرى يلماز اوزتونا: انه لا يمكن لدولتي العالم الأولى والثانية الكبيرتين أن تقيما علاقات حسنة من الناحية الجغرافية والسياسية ،حتى ولو كانتا تتكلمان اللغة ذاتها وتدينان بالدين والمذهب ذاته،وهذا ما حدث، تمكن "يلدرم" من النجاة من بلية تيمور بإتباعه دبلوماسية دقيقة .كانت مواهب "يلدرم" العسكرية أكثر تفوقا من مواهبه الدبلوماسية.[2]

في حين أن محمد بهم يرى أن تيمور انشأ إمبراطورية عظمى على أنقاض الإمبراطورية الجنكيزية بعد أن لاشى آثارها، فاستولى على البلاد التي كانت تفرعاتها من شرق أوروبا إلى مقربة من الصين ومنها إلى الهند بما فيها آسيا الصغرى والعراق وفارس والشام وما يليها..وبسط سلطانه عليها.

أما عن أسباب الحرب بين تيمور ويلديرم با يزيد فنجد فيما أورد بهم وكذلك يلماز من أسباب خلاف المغول وآل عثمان سببا آخر وهو "التجاء احمد جلاير" صاحب بغداد والعراق إلى "يلديرم با يزيد" حين اكتسح تيمور بلاده، وامتناع سلطان آل عثمان عن تسليمه إلى تيمور. فقد يصح أن يكون هذا وأمثاله من جملة أسباب تلك الحروب الطاحنة. وكان تيمور على ما اتصف به من الإقدام يتخوف الاشتباك. في حرب آل عثمان. فابتدأ بتنفير العالم الإسلامي من يلديرم با يزيد وكان يلقبه بقيصر الروم، وقيل أنه أراد أن يبرهن للمسلمين على ضعف آل عثمان عن حماية طرق الحج.[3]

والملاحظ أن كل من المؤلفين يلماز اوزتونا ومحمد جميل بهم قد اتفقا على أن العلاقة بين با يزيد يلديرم وتيمور، كانت متوترة وسيئة مليئة بالحروب الطاحنة ،وذلك راجع الى عدة أسباب أهمها ،رغبة تيمور في الاستيلاء على الخلافة،تلك الأمنية التي لم يطمح اليها احد قبله من الأعاجم.

1- محمد فريد بك المحامي، **المرجع السابق**، ص94.

2- يلماز أوزتزنا، **المرجع السابق**، ص109.

3- محمد جميل بهم، **فلسفة التاريخ**، **المرجع السابق**، ص 185، 188.

ج- مقارنة في دور آل الكوبرلي في الحفاظ على الإمبراطورية العثمانية: يرى محمد جميل بيهم انه لولا "آل الكوبرلي"[1] الكرام لتدهورت تتلك الإمبراطورية قبل قرن ونيف من معاهدة كارلوفيتز، ولولاهم لتمكن التحالف المقدس من أن يجليها عن أوروبا ويسترد منها القسطنطينية، لذلك كان على الترك وقد عمدوا إلى رفع التماثيل لأبطالهم أن يذكروا في مقدمة الذين يستحقون الإكرام آل الكوبرلي العظام ومحمد صوقللي باشا.[2]

أما يلماز اوزتونا فيرى أن السلطان - الوالدة الذكية التي تتبنى عائلة كوبرولو، قد توفيت قبل هزيمة فيينا ببضعة أشهر (5-7-1683)، وقد عبر الشعب الذي يعلم دورها الكبير في الدولة عن تأثره بهذه المحنة. وقد انتهى دور "كوبرولولر" .وبدأ قحط الرجال كما كان في الأزمنة التي تسبق عهد كوبرولو محمد باشا قبل 27عاما، وبدأ الأشخاص الذين لم يستطيعون تنفيذ واجباتهم التي تقتضيها مقاماتهم، يتعاقبون الواحد تلو للآخر.[3]

فعائلة كوبرولو قد خدمت الدولة العثمانية، وتمكنت من الحفاظ عليها لفترة من الزمن، وهذا ما نلاحظه من خلال كتابات المؤلفين محمد جميل بيهم ويلماز اوزتونا.

أما محمد جميل بيهم فيقول: وحينئذ ظهر آل الكوبرلي ورفعوا بها إلى مرتبة استبدلت فيها سرابيل الضعف بلباس الهيبة والجلال، تولى أولهم محمد باشا في العام التالي من سلطنة محمد الرابع ،ولما شب وترعرع هذا السلطان قدر له خدماته الجلي وأطلق يده في الدولة [4].

خ- في مواضيع الترك والأندلس: يرى محمد جميل بيهم أن اسبانيا مازالت مطمح أنظار الفاتحين، فتغلب عليها الفينيقيون واليونان والقرطاجيون والرومان والويزيقوط، فالعرب في أوائل القرن الثامن للميلاد.وبدلا من أن يلحق للعرب باللاجئين من الوطنيين إلى جبال "قنطبرية" في شمال اسبانيا

1- أسرة تركية رفيعة، نبغ بعض رجالها منهم حسين باشا، عقد الصلح مع النمسا وروسيا وبولندا والبندقية في معاهدة كولوفيتز 1699، وفاضل أحمد (1635- 1676)، جمع في استانبول مكتبة عرفت باسم مكتبة كوبرولو، فتح عدة مدن وحصون في المجر وكريت وبولندا. ومحمد باشا (1583- 1661)، تولى الصدارة العظمى وخدم بلاده بإخلاص. ومصطفى باشا (1637 – 1691)، أصلح المالية وفتح بلغراد. راجع: الموسوعة العربية الميسرة، 1965.

2- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**،، ص287 291.

3- يلماز اوزتونا، **المرجع السابق**، ص 541 542.

4- محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ، المرجع السابق**، ص 187.

أهملوا أمر اللحاق بهم، فشمل والويزيقوط حكومة "أشتورة" التي كان نجاحها القليل بالتعرض للعرب منشطا لتشكيل حكومات أخرى في جوارها، وعي نواره وليون وقشتالة واراغون والبرتغال.

واستمر العرب في غفلتهم عن تلك الدويلات التي جعلت مثلها الأعلى إجلائهم عن اسبانيا، وما فتحوا أعينهم في القرن الرابع عشر للميلاد، حين ظهرت السلطنة العثمانية. إلا وكانت الأندلس قد عادت لأهلها ولم يبق للمسلمين إلا دويلة بني الأحمر في غرناطة عند سيف البحر أما وقد بقي للعرب على الشاطئ الأندلسي ملجأ فإن الأسبان لم يحولهم عن إتمام المهمة التي أخذوها على عاتقهم محول،ولم يحفلوا بأمر آل عثمان .بل تركوا لجيرانهم قضية التفكير لرفع خطرهم واستمروا على سعيهم الحثيث للقضاء على بني الأحمر. وقد نالوا ما طمحوا إليه باتخاذ مملكتي نواره واراغون، ثم بانضمام حكومة قشتالة إليهما بزواج فرديناند ملك اراغون من "ايزابلا" ملكة قشتالة، وأخرجوا المسلمين من اسبانيا في حكم "با يزيد الثاني" سلطان آل عثمان. ولذلك فإن اسبانيا لم تأت عملا ناجحا من شأنها أن يقف في وجه الإمبراطورية العثمانية.[1]

أما يلماز اوزتونا فيرى أن في هذا التاريخ كان قد تبقى في اسبانيا الغربية المسلمون، في الأندلس، دولة إسلامية واحدة، هي دولة النصرين أو بني الأحمر. كانوا يحكمون منذ (1232) ومدينة عرشهم غرناطة "بالاسبانية: Granada"، كانوا في القرن 15 قد أزيحوا ودفعوا إلى حدود ضيقة جدا، ومع ذلك فإنه من الممكن بأن تعداد تلك الدولة يصل إلى مليوني نسمة، يتكون شعبها من البربر والأسبان الذين اسلموا ويتكلمون اللغة العربية، وكذلك العرب الخلص. كان الدولة كذلك رعايا كثيرون من المسيحيين "الكاثوليك" والموسويين.

دفعت ملكة كاستيليا الأندلس السنية - المالكية نحو الجنوب بصورة مستمر ة وقلصت حدودها، كما أخذ الاسبانيون من العرب موانئ : جبل طارق[2] (20-8-1462)، انحطت دولة الأندلس إلى درك دول البحر المتوسط التي لا أهمية لها، وأصبحت مقتصرة على غرناطة وإطرافها. وكانت تركية ومصر في هذه الأيام في حالة حرب، وعندما عقدت العظمى لفترة بين الدولتين، اضطربت اسبانيا.

1- ، **المرجع انفسه**، ص230- 231.

2- جبل طارق: جبل طارق (بالإنجليزية: Gibraltar، جبرلتار) هي منطقة حكم ذاتي تابعة للتاج البريطاني، تقع في أقصى جنوب شبه جزيرة إيبيريا على منطقة صخرية متوغلة في مياه البحر الأبيض المتوسط. تسمى محليا بـ "جبرلتار" وهو تحريف لاسم "جبل طارق" على اسم أمير مدينة طنجة طارق بن زياد في القرن الأول الهجري. انظر: حسام الدين إبراهيم، **موسوعة مدن العالم**، دار العلوم نشر والتوزيع، ط1، م1، 2013، ص74.

وطلب ملك غرناطة أبو عبد الله محمد مساعدة استانبول وكذلك القاهرة بصورة رسمية. وقد كانت خشية الأسبان لمصر أكثر واشد، لأنهم لم يسمعوا بعلاقة تركيا بغرب المتوسط وبالمغرب. أرسل السلطان "قايتباي" راهب دير فرانسيس الكاثوليكي في القدس كسفير إلى "توليدو" ابلغهم بأنهم إن لم يرفعوا يدهم عن غرناطة ،فإنه سيقتل كافة المسيحيين الموجودين في كنيسة القيامة في القدس، وأنه سيغلق فلسطين في وجه كافة الحجاج المسيحيين.

أيضا لم تعر اسبانيا أية أهمية لهذا التهديد، لأنها لم تكن قد سمعت أبدا بأن دولة إسلامية أضرت برعاياها المسيحيين المطيعين... وقرر الديوان الهمايوني[1] إرسال أسطول إلى غرب البحر المتوسط . وهكذا تحققت الحملة الأولى لكمال رئيس (1487). وللمرة الأولى وطئت أقدام الأتراك غرب المتوسط. وهكذا دخلت تركيا الحرب اتجاه ملكيات "كاستيليا، اراغون، نابولى، صقلية"، وباختصار اتجاه اسبانيا. وسوف تستمر هذه الحرب قرونا طويلة دون عقد صلح.[2]

ومن الملاحظ أن الأندلس تعتبر ذات أهمية كبيرة للعالم الإسلامي، وان وصول تركيا الأندلس بسبب الدفاع عن المسلمين المضطهدين فيها، وهذا ما اتفق عليه كلا المؤلفين بهم ويلماز اوزتونا.

1- الديوان الْهُمَأْيُوْنِي مجلس ترتبط به كافة أجهزة الدولة العثمانية. ما يعادل في الوقت الحاضر مجلس الوزراء. أنظر: صبان سهيل، **معجم الموسوعي، المرجع السابق**، ص97.

2- يلماز اوزتونا، **المرجع السابق**، ص 191 194.

خاتمة

خاتمة: من خلال دراستنا لكتاب "محمد جميل بهم" والوقوف على أهم القضايا فضلنا أن تكون الخاتمة عبارة عن استنتاجات أهمها ما يلي:

- يعتبر هذا الكتاب مرجعا مهما من الدرجة الأولى في تاريخ الدولة العثمانية لاعتماده على أهم الكتب أمثال: محمد فريد بك الدولة العلية، تاريخ جودت باشا، جرجي زيدان تاريخ التمدن الإسلامي، ابن الأثير الكامل في التاريخ، ياقوت الحموي معجم البلدان، زيدان التمدن الإسلامي ...إلخ.

- الكاتب يقدم دراسة واضحة وشاملة لتاريخ الدولة العثمانية من نشوء الدولة العثمانية إلى سقوطها واضمحلالها.

- لعبت سياسة التسامح الديني دورا كبيرا في مساعدة العثمانيين على فتح مناطق عديدة والقضاء على المسيحية.

- سبقت نشوء السلطنة العثمانية أمم حيث أنها عاصرتها في عهدي رقيها وانحطاطها، وذكر الأسباب التي تؤدي إلى تطور الأمم من عوامل داخلية وخارجية وبالتالي فهذا تاريخ سياسي نحن بأمس الحاجة إليه.

- عدم اهتمام الأتراك بالجانب التعليمي تركوه للعلماء ودور العلم ولم يشجعوا الثقافة، مما نتج عنه إنخفاظ في مستوى التعليم رغم أنها كانت تملك مدارس وزوايا ومساجد.

- تميزت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بتدهور الذي مس جميع الجوانب خاصة السياسي والعسكري وذلك بعد إلغاء الإنكشارية.

- كانت الدولة العثمانية قوة لا تضاهي قوتها أي دولة وصلت إلى أعلى مراكز من الرقي والازدهار والسبق إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تسقط وتضمحل.

- يتميز "محمد جميل بهم "بالنظرة الموضوعية، والرغبة الصادقة،من خلال ما لمسناه من كتابة للتعرف، على تاريخ الدولة العثمانية.

- أنجبت أمة الترك إمبراطورية "أل عثمان"، التي تغلبت على الصين وسائر الشرقيين الأوسط والأدنى، واستطاعت أن تستحوذ على سيادة البر والبحر، وأصبحت حديث الأمم، ومحور سياسة العالم في أجيال عدة.

- عرف عصر السلطان سليمان القانوني بالعصر الذهبي وهو عصر رقى وازدهار الدولة العثمانية، ووصولها إلى أعلى درجة من البسوق واصل فتوحاته حتى وصل إلى منطقة التشبع فينا.

- توالى على حكم الدولة العثمانية عدة سلاطين حيث عرف السلاطين العشرة الأوائل بالقوة والشجاعة فتحوا عدة مناطق في ثلاث قارات إفريقيا، وأسيا وأوروبا.

- حكم الدولة العثمانية سلاطين ضعاف الذين بدورهم ساهموا في اضمحلال وانحلال وسقوط الإمبراطورية العثمانية بعدما كانت قوتها لا تضاهي أي دولة أخرى.

- شرعت تركيا في التدهور والانحطاط بخطى واسعة في سلطنة كل من مصطفى الأول وعثمان الثاني وفي غرة مراد الرابع، هذا الأخير تسنى له إخماد الفوضى العسكرية وأمن النصر على فارس وقضاء على الثورات الداخلية، ولكن الحظ لم يحالفه فقد مات وهو شاب وقد قامت الفوضى من بعده في حكم أخيه إبراهيم.

- لعبت عائلة أل الكوبرلي العظام دورا كبيرا في منصب الصدارة سنة 1080م كادت هذه العائلة الكريمة تعيد السلطنة العثمانية إلى ما كانت عليه.

- صارت السلطنة العثمانية في عهد السلطان "سليمان القانوني" أعظم دولة في العالم، وأصبحت دار ملكها مرجع وملجأ المماليك كما نجد أن شارلكان الذي كان سيد الغرب والذي كانت أوروبا تنظر إليه نظرة منقذ المسيحيين، ومرهب الأعداء، لم يقوى مع ذلك على منافسة خصمه "سليمان القانوني".

- إن نجاح تركيا الحربي والسياسي رفعها إلى رتب سامية وذلك لعدة أسباب انتهاجها سياسة التسامح الديني وحب سلاطينها للجهاد، وموقعها الإستراتيجي.

ببليوغرافيا

1/- المصادر:

1. ابن اسفنديار بهاء الدين محمد بن حسن (ت 613ه) ، تاريخ طبرستان، تر: محمد منادي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.
2. أبي حفص السمرقندي، القند في تاريخ سمرقند، تح: يوسف الهادي، مركز نشر التراث المخطوط، طهران، 1999.
3. أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج1، مطبعة الغرى، 1358ه.
4. جلال الدين السيوطي كتاب تاريخ الخلفاء، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكّة المكرّمة، 2004.
5. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط1، تح: محمد عبد القادر عطا، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
6. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.

2/- المراجع بالعربية:

1. أحمد بن عبد العزيز الحصين، النصرانية، مكتبة الإيمان، ط1، 2011.
2. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
3. أرمغان مصطفى، التاريخ السري للإمبراطورية العثمانية، جوانب غير معروفة من حياة سلاطين بني عثمان، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت، د.ت.
4. اغب السرجاني، قصة الأندلس، مكتبة المنار، الأردن، د.ت.
5. أكمل الدين إحسان أغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إستانبول، 1999.
6. ثروة عكاشة، إعصار من الشرق جنكيز خان، دار الشروق، د.ت.
7. حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، د.ت.
8. حسان حلاق، المعالم التاريخية والأثرية والسياحية في العالم العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 2009.
9. حسان حلاق، المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم 1887-1978م، من رواد النهضة السياسية والاجتماعية والفكرية في بيروت والعالم العربي، تق: عمر فروخ، بيروت، د.ط، 1980.
10. حسان حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1999.
11. خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، دار المدار للإسلامي، ط1، 2002.
12. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة، لبنان، 2011.
13. الصاوي محمد، هولاكو الأمير السفاح، مكتبة النافذة، ط1، دار الطيبة للطباعة، الجيزة، مصر، د، ت.
14. عبد الله يوسف، تتمة الأعلام لزركلي، دار ابن حزم لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2002.
15. علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر، ط1، 2001.
16. علي محمد الصلابي، السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، دار عدنان للطباعة، د.ت.
17. علي محمد الصلابي، دولة السلاجقة، دار إبن الجوزي، القاهرة، دت.
18. فؤاد صالح السيد، أعظم الأحداث المعاصرة 1400-2014، مكتبة حسن العصرية، بيروت، ط1، 2015.

19. محمد الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية للدولة العباسية، مؤسسة المختار، ط1، 2003.
20. محمد جميل بيهم، النزاعات السياسية بلبنان عهد الانتداب والاحتلال 1918- 1940، مطبعة العرفان، دت.
21. محمد جميل بيهم، أوليات سلاطين تركيا، مطبعة العرفان، صيدا، 1351ه.
22. محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية وإلى أي حد بلغت عظمتها، مكتبة صادر، بيروت، 1925م،
23. محمد جميل بيهم، لبنان بين مشرق ومغرب (1920-1969)، ط1، د.د.ن، بيروت، 1969.
24. محمد حواش، "ملاحظات واجتهادات حول مسألة التحقيب في التاريخ العربي"، التحقيب التقليد- القطيعة- السيرورة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط، 1997.
25. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس،بيروت، 2007.
26. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، ط3، 2013.
27. محمد سهيل طقوش، تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى، دار النفائس، ط1، 2002.
28. محمد سهيل قطوش، تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس، بيروت، 2011.
29. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح إحسان حقي، دار النفائس، 2006.
30. محمود محمد أحمد، تطور مفهوم الجهاد دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت القاهرة، دار البيضاء، ط1، 2015.
31. مصطفى صفوت، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، دار الفكر العربي، 1948.
32. منير بعلبكي وشفيق جحا، المصور في التاريخ، ج6، الدولة الفاطمية، دار العلم للملايين، بيروت. د.ت،
33. مي زيادة، كتابات منسية، تح، أنتيا زيغلر، ط1، 2009.
34. نجدة فتحي صفوة، هذا اليوم في التاريخ، م5، أيار/ مايو، دار الساقي، ط1، بيروت، 2018.
35. نزار أباظة، محمد رياض المالح، إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1999.
36. هشام نشابه، محاضرات في الفكر الإسلامي، دط، دت.
37. يوسف البستاني، تاريخ حرب البلقان الأولى بين الدولة العلية والإتحاد البلقاني، مؤسسة هنداوي، د.ت.

3/- المراجع المترجمة:

1. برناردين كلتي، فتح القسطنطينية، مكتبة النهضة، دار التضامن للتجارة والطباعة والنشر، بغداد، 1962.
2. رانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح محمد العلي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983.
3. فريدون أمجاد، السلطان سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، تر: جمال فاروق،دار النيل، د.ت.
4. يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مرا: محمود الأنصاري، م1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، تركيا، 1988.

4/- الموسوعات والمعاجم والأطالس:

1. أحمد العلاونة، ذيل الأعلام - قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، دار المنارة لنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط1، 1998.
2. باحثون عرب، دائرة المعارف العالمية، الموسوعة العربية العالمية، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، ج24.
3. حسام الدين إبراهيم، موسوعة مدن العالم، دار العلوم نشر والتوزيع، ط1، م1، 2013.
4. سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الدولة الأموية، دار العبيكان للنشر، الرياض، د.ت.
5. صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مكتبة الملك فهد الوطنية للمطبوعات،الرياض، 2000.
6. عزيزة فوال بابتي، موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009، ج1.
7. اللسان العربي، مجلد 10، العدد 1.
8. محمد التونجي، معجم أعلام النساء، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 2001.
9. منير البعلبكي، معجم أعلام المورد موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، مستقاة من موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1992.
10. موستراس س، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر: عصام الشحادات، ط1، دار بن حزم، بيروت، د.ت.
11. الموسوعة العربية الميسرة، 1965.

5/- المواقع الالكترونية:

www .islamstory.com
www .britannica ,com
www .wikiwand .com
www.edu.uobabylon.iq
www .net alukah
www .alukah.net
www.aljazeera.net/encyclopedia/icons

فهرس الموضوعات

- فهرس المحتوى (الموضوعات):

الموضوع	صفحة
ورقة الواجهة	
البسملة.	
شكر وتقدير.	
إهداء	
قائمة المختصرات	01
مقدمة	05-03
المبحث الأول: دراسة الكاتب الكتاب.	
1- دراسة الكاتب (محمد جميل بيهم).	19-07
2- دراسة الكتاب (فلسفة التاريخ العثماني).	25-20
المبحث الثاني: دراسة الموضوعات التي يتناولها الكتاب	
1- تلخيص أهم ما جاء من محاور وأفكار الكتاب.	55-27
2- استخلاص الجوانب العلمية والمنهجية لمحاور الكتاب.	57-56
المبحث الثالث: تقييم الكتاب ومقارنته ببعض المواضيع المشابهة.	
1- نقد وتقييم مواضيع وأفكار نصوص المؤلف محمد جميل بيهم	65-59
مقارنة بعض مواضيع كتاب فلسفة التاريخ العثماني مع كتب اخرى	74-65
خاتمة.	77-76
ببليوغرافيا	81-79
فهرس المحتوى (الموضوعات).	83